

العالم العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد
الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام

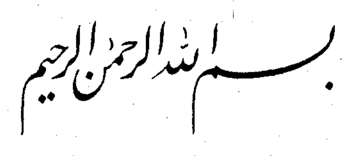
طبع على نفقة أحد المحسنين
يهدى ولا يباع

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعت هذه المجموعة باذن من مكتب مراقبة المطبوعات بمكة

برقم ٦٠٧/٢/م
١٣/٥/١٣٩٣هـ
١٣٩٣ هـ - ١٩٧٢م

الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩٠م



مقدمة وايضـــاح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذه مجموعة تضم جملة من عقائد السلف الصالح الفها عدد من أهل التحقيق والتدقيق من علماء السلف وهي حاوية لما يأتي :

١ـ عقيدة الإمـام محمـد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ ـ وقد عورضت بنسخة مخطوطة ومطبوعة .

٢ـ عقيدة أبي جعفـر الإمـام محمـد بن سلامي الحنفي الطحاوي المتوفى عام ٣٢٠هـ وقد عورضت بنسخة مخطوطة ومطبوعة .

٣ـ عقيدة الإمام تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي المتوفى عام ٦٠٠ هـ .

٤ـ عقيدة الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الموفق المتوفى عام ٦٢٠هـ .

٥ـ العقيدة الواسطية للإمام شيخ الإسلام وعلم الأعلام تقي الدين أحمد بن تيمية المتوفى عام ٧٢٨هـ.

٦ـ كتاب التوحيد .

٧ـ كشف الشبهات.

٨ـ ثلاثة الأصول.

٩ـ أربع القواعد.

١٠ـ شروط الصلاة خمسهن لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب المتوفي عام ١٢٠٦هـ.

١١ـ كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر للعالم العلامة الشيخ عبد الله ابن حميد الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام متعه الله متاعاً حسناً ونفع بعلومه.

وقد طبعت هذه المجموعة بإشارة من فضيلة الشيخ / عبد الله بن حميد وقام بمراجعة أصولها وتصحيحها أثابه الله.

١ـ عقيدة الإمام ابن جرير الطبري (١)

هذا جزء في الاعتقاد لإمام المفسرين فخر المحدثين تاج المؤرخين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الشهير والتاريخ الكبير رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ أبو الفضل أحمد وأبو البركات الحسن أنا محمد بن الحسن وابن هشام قراءة عليهما بدمشق بجامعها وأبو محمد الحسن بن علي (بن علي)[٢] بن الحسين بن حسن بن محمد الأسدي قراءة عليه قالوا أنا أبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد الأسدي قراءة الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن معروف قراءة عليه أنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن يحيى الدينوري قال قرىء على أبي جعفر محمد بن جرير وأنا أسمع الحمد لله مفلج الحق وناصره ومدحض الباطل وماحقه الذي اختار لنفسه الإسلام ديناً فأمر به وحاطه فتوكل بحفظه وضمن اظهاره على الدين كله ولو كره المشركون ثم اصطفى من خلقه رسلاً ابتعثهم بالدعاء إليه وأمرهم بالقيام به والصبر على ما نابهم فيه من جهلة خلقه وامتحنهم من المحن بصنوف وابتلاهم من البلاء بضروب تكريماً لهم غير تذليل وتشريفاً لهم غير تخسير ورفع بعضهم فوق بعض درجات وكان أرفعهم عنده درجة أجرأهم مضياً لأمره مع شدة المحنة وأقربهم إليه زلفة أحسنهم إنفاذاً لما أرسله به مع عم البلية يقول الله تعالى

---

(١) النسخة التي جعلناها أصلاً لطبع هذه الرسالة هي مطبوعة بومباي الحجرية سنة ١٣١١ هجرية وعارضناها على نسختنا الخطية وأن هذا العنوان من وضعنا من باب التنسيق: اهـ كلام سماحة المشرف على تحقيق الكتاب.

(٢) ما بين القوسين: زيادة من المخطوطة.

في محكم كتابه لنبيه محمد ﷺ : ﴿**فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل**﴾ ، وقال له ﷺ ولاتباعه : ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا**﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود**﴾ إلى قوله عز وجل ﴿**غروراً**﴾ ، وقال تعالى ﴿**آلم أحسب الناس أن يتركوا**﴾ إلى قوله ﴿**وليعلمن الكاذبين**﴾ فلم يُخلِ جل ثناؤه واحداً من مكرمي رسله ومقربي أوليائه من محنة في عاجله دون آجله ليستوجب بصبره عليها من ربه من الكرامة ما أعده له ومن المنزلة لديه ما كتبه له ثم جعل تعالى علماء كل نبي ابتعثه منهم وراثة من بعده للقوام بالدين بعد انخرامه إليه[1] وقبضه الذابين عن عراه وأسبابه والحامين عن أعلامه وشرائعه والناصبين[2] دونه لمن بغاه وحاده والـدافعين عنه كيد الشياطين[3] وضلاله فضلهم بشرف العلم (وأكرمهم)[4] بوقار الحلم وجعلهم للدين وأهله اعلاماً وللإسلام والهدى مناراً وللخلق قادة وللعباد أئمة وسادة إليهم مفزعهم عند الحاجة وبهم استغاثتهم عند النائبة لا يثنيهم عن التعطف والتحني[5] عليهم سوء ما هم من أنفسهم يولون ولا يصدهم عن الرقة والرأفة بهم قبح[6] ما إليهم يأتون تحرياً منهم طلب جزيل ثواب الله فيهم وتوخياً طلب رضى الله في الأخذ بالفضل عليهم ثم جعل جل ثناؤه علماء أمة نبينا محمد ﷺ من أفضل علماء الأمم التي خلت قبلها فيما كان قسم لهم من المنازل والدرجات والمناقب والكـرامـات قسمـاً وأجـزل لهم فيه حظاً ونصيباً مع ابتلاء الله أفاضلها بمنافقيها وامتحانه خيارها بشرارها ورفعائها بسفلها ووضعائها فلم يكن يثنيهم ما كانوا به منهم ينالون[7] ولا كان يصدهم ما في الله منهم يلقون عن النصيحة لله في عباده وبلاده أيام حياتهم بل كانوا بعلمهم على جهلهم يعودون وبحملهم[8] لسفههم يتغمدون وبفضلهم على بعضهم يأخذون بل كان لا يرضى كبير منهم ما أزلفه لنفسه عند الله عز وجل من فضل ذلك في أيام حياته وادخر منه من كريم الدخائر لديه قبل مماته

(١) إليه : ليست في المخطوطة.
(٢) في المخطوطة : الناضين.
(٣) في المخطوطة : الشيطان.
(٤) زيادة من المخطوطة.
(٥) في المخطوطة : والتحنن.
(٦) في المخطوطة : قبيح.
(٧) في المخطوطة : يبتلون.
(٨) كذا في المطبوعة والصحيح : وبحلمهم.

حتى يبقى لمن بعده آثاراً على الأيام باقية ولهم إلى الرشاد هادية جزاهم الله عن أمة نبيهم أفضل ما جزا عالم أمة عنهم وحباهم من الثواب أجزل ثواب وجعلنا ممن قسم له من صالح من[1] قسم لهم والحقنا بمنازلهم وأكرمنا بحبهم ومعرفة حقوقهم وأعاذنا والمسلمين جميعاً من مرديات الأهواء ومضلات الآراء إنه سميع الدعاء ثم أنه لم يزل من بعد مضي رسول الله لسبيله حوادث في كل دهر تحدث ونوازل في كل عصر تنزل يفزع فيها الجاهل إلى العالم فيكشف فيها العالم سدف الظلام عن الجاهل بالعلم الذي أتاه الله وفضّله (به)[2] على غيره إما من أثر وإما من نظر فكان من قديم الحادثة بعد رسول الله ﷺ من الحوادث التي تنازعت فيه[3] أمته اختلافها في أفضلهم بعده ﷺ وأحقهم بالإمامة وأولاهم بالخلافة.

ثم القول في أعمال العباد طاعتها (ومعصيتها)[4] وهل[5] بقضاء الله وقدره أم الأمر إليهم في ذلك مفوض ثم القول في الإيمان هل هو قول وعمل أم هو قوله بغير عمل وهل يزيد وينقص أم لا زيادة له ولا نقصان ثم القول في القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق ثم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة ثم القول في الفاظهم بالقرآن ثم حدث في زماننا حماقات خاض فيها أهل الجهل والعناد ونوكي الأمة والرعاع يتعب احصاؤها ويمل ويكثر تعدادها منها القول في اسم الشيء أهو هو أم هو غيره ونحن نبين الصواب لدينا من القول في ذلك كله إن شاء الله تعالى، فأول ما نبدأ بالقول فيه من ذلك عندنا[6] القرآن أنه كلام الله وتنزيله إذا كان من معاني توحيده فالصواب من القول في ذلك عندنا أنه كلام الله غير مخلوق، كيف كتب وحيث تلي وفي أي موضع قرىء في السماء وجد وفي الأرض حفظ في اللوح المحفوظ أو في القلب حفظ وباللسان لفظ فمن قال غير ذلك أو ادعى أن قرآناً في الأرض أو في السماء سوى القرآن الذي نتلوه ونكتبه في مصاحفنا أو اعتقد ذلك بقلبه أو أضمره في نفسه أو قاله بلسانه دايناً فهو بالله كافر، حلال الدم والمال، بريء من الله، والله منه

(١) في المخطوطة: ما.

(٢) به: زيادة من المخطوطة.

(٣) في المخطوطة: فيها.

(٤) زيادة من هامش المطبوعة.

(٥) الصحيح: هي كما يقتضيه سياق الكلام.

(٦) في المخطوطة: عن القرآن.

بريء، يقول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ وقال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾. فأخبر أنه في اللوح محفوظ مكتوب وأنه من لسان محمد مسموع وكذلك هو في الصدور محفوظ وبألسن الشيوخ والشبان متلو، قال أبو جعفر فمن روى علينا أو حكى عنا أو تقوّل علينا فادعى أنا قلنا غير ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين لا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وهتك ستره، وفضحه على رؤوس الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار. حدثني موسى بن سهل باسناده قال: قلت لجعفر بن محمد رضي الله عنه أنهم يتساءلون القرآن مخلوق أو خالق، فقال إنه ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل.

حدثني محمد بن منصور باسناده عن ابن عيينة قال: سمعت عمرو ابن دينار يقول ادركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة في الآخرة، وديننا الذي ندين به وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة فهو أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ثنا أبو السايب سالم بن جنادة باسناده عن جرير ابن عبد الله، قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم راؤن ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم تلى رسول الله ﷺ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ولفظ الحديث كحديث مجاهد، قال مجاهد قال: يزيد من كذب هذا الحديث فهو بريء من الله ورسوله حلف غير مرة، وأنا أقول صدق رسول الله وصدق يزيد، وقال الحق وأما الصواب من القول لدينا فيما اختلف فيه من أقوال العباد وحسناتهم وسيئاتهم فإن جميع ذلك من عند الله تعالى والله سبحانه وتعالى مقدره ومدبره ولا يكون شيء إلا باذنه ولا يحدث شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر.

كما حدثني زياد بن عبد الله باسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما

أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه».

حدثني يعقوب بن ابراهيم باسناده عن ابن عمر قال: القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. وأما الحق من اختلافهم في أفضل أصحاب رسول الله مما جاء به ﷺ الخبر، وتتابع على القول به السلف، وذلك ما حدثنا به موسى بن سهل باسناده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة، أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله عليهم فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار من أمتي أربعة قرون من بعد أصحابي القرن الأول والثاني والثالث (تترى[1]) والقرن الرابع فردا». وكذلك نقول، فأفضل أصحابه ﷺ أبو بكر الصديق ثم الفاروق بعد عمر بن الخطاب، ثم ذو النورين عثمان بن عفان، ثم أمير المؤمنين، وإمام المتقين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما أولى الأقوال بالصواب عندنا فيما اختلفوا فيه من أولى الصحابة بالإمامة، فنقول: من[2] قال بما حدثنا به محمد بن عمر الأسدي باسناده عن سفينة مولى رسول الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم بعد ذلك ملك» قال لي سفينة: امسك خلافة أبي بكر «سنتان[3]»، وخلافة عمر «عشر[4]» وخلافة عثمان «اثنتا عشرة[5]»، وخلافة علي «ست[6]» فوجدتها ثلاثين سنة.

وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل وهل يزيد وينقص؟ أم لا زيادة ولا نقصان. فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، ويزيد وينقص. وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أهل الدين والفضل ثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سألنا أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه

---

(١) تترى: زيادة من المخطوطة.
(٢) لعله: كمن وهو الأصوب.
(٣) سنتان: زيادة من المخطوطة.
(٤) عشر: زيادة من المخطوطة.
(٥) اثنتا عشرة: زيادة من المخطوطة.
(٦) ست: زيادة من المخطوطة.

الله عن الإيمان في معنى الزيادة والنقصان، فقال ثنا الحسن بن موسى : (الأشيب قال: حدثنا حماد بن سلمة[1]) عن ابي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمر بن حبيب قال الإيمان يزيد وينقص فقيل وما زيادته وما نقصانه، فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا وعصينا ونسينا فذلك نقصانه.

حدثني علي بن سهل الرملي، حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي ومالك بن أنس وسعيد بن عبد العزيز رحمهم الله ينكرون قول من يقول إن الإيمان اقرار بلا عمل، ويقولون لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفى، إلا عمن في قوله الغنا والشفا رحمة الله عليه وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله مقام قول الأئمة الألى الإمام المرتضى أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه، قال أبو جعفر: أخبرنا اسماعيل الترمذي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد يقول: اللفظة جهمية، يقول الله حتى يسمع كلام الله، فممن يسمع ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ اسمائهم يذكرون عنه يعني الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يقول من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، ولا قول في ذلك كله عندنا يجوز أن نقوله، غير قوله إذا لم يكن (لنا[2]) في ذلك إمام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع إذ هو إمام أهل السنة رحمة الله عليه ورضوانه.

وأما القول (في الاسم[3]) هو المسمى أم هو غيره فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام فيستمع فالخوض فيه شين والصمت عنه زين وحسب امرىء من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قوله جل ثناؤه الصادق وهو قوله تعالى: ﴿**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾، ويعلم أن ربه هو الذي على العرش

---

(١) ما بين القوسين: زيادة من المخطوطة.

(٢) لنا: زيادة من المخطوطة.

(٣) في الإسم: زيادة من المخطوطة.

استوى، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر وضل وهلك فليبلغ الشاهد منكم أيها الناس من بعد منا أو قرب فديننا الذي ندين الله به في الأشياء التي ذكرناها ما بيناه لكم على ما وصفنا.

فمن روى عنا خلاف ذلك أو أضاف إلينا سواه أو نحلنا في ذلك قولاً غيره فهو كاذب مفتر متخرص معتد يبوء بسخط الله وعليه غضب الله ولعنته في الدارين وحق على الله أن يورده المورد الذي وعد رسول الله اضرابه وأن يحله المحل الذي اخبر به النبي ﷺ أن الله سبحانه يحله أمثاله على ما أخبر به ﷺ، قال أبو جعفر: وذلك ما حدثنا أبو كريب بإسناده عن سفيان الأصبحي[1] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يؤذنون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، ويقول أهل النار ما بال هؤلاء قد اذونا على ما بنا من الأذى، فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر امعاءه ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، ويقال للذي يجر امعاءه ما بال الأبعد آذانا على ما بنا من الأذى، فيذكر كلاماً سقط عني. ويقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً، ما بال الأبعد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقال إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة قبيحة فيستلذها، كما يستلذ الرفث، ويقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقال إن الأبعد كان يمشي بالنميمة، ويأكل لحوم الناس حدثنا خلاد بن أسلم بإسناده عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من ذكر امرأً بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه».

حدثنا ابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون صدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس

---

(١) الصحيح: شفي بدل سفيان كما جاء في الإصابة وهو تابعي.

ويقعون في أعراضهم. حدثني علي بن سهل الرملي باسناده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله بقيع الغرقد فوقف على قبرين ثريين قال ادفنتم هاهنا فلاناً وفلانة؟ أو قال فلانة وفلاناً قالوا: نعم يا رسول الله. قال: قد أقعد فلان الآن يضرب ثم قال: والذي نفسي بيده لقد ضرب ضربة ما بقي منه عضو إلا انقطع ولقد تطاير قبره ناراً، ولقد صرخ صرخة سمعها الخلائق إلا الثقلين من الجن والإنس، ولولا تمريج في قلوبكم وتزييدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع، قالوا: يا رسول الله وما ذنبهما؟ قال: أما فلانة أو فلان فإنه كان لا يستتر[1] من البول، وأما فلان أو فلانة فإنه كان يأكل لحوم الناس.

حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي بإسناده عن أبي برزة الأسلمي قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته».

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ومنّه وكرمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وذلك يوم السبت ثاني يوم من شوال سنة ١٢٧٧هـ عفى الله تعالى عنه.

فائدة مهمة

قال الشيخ الإمام: أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الأصول في الأصول سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر عبد الله يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائيني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعاً من الله والنبي ﷺ سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ وهو الذي نتلوه بألسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعاً ومكتوبا ومحفوظاً ومقروءاً وكل حرف منه كالباء

---

(١) بعض الروايات: يستنتر.

والتاء كله كلام الله عز وجل غير مخلوق ومن قال أنه مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين.

انتهى بخط شيخنا سلمه الله تعالى على طاعته.

قال القرطبي: في المفهم في شرح حديث ابغض الرجال إلى الله الألد الخصم قال قد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعرض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين فمن رغب عن طريقتهم فكفاه ضلالاً.

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتابه خلق أفعال العباد اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول، فقالت القدرية الأفاعيل كلها من البشر، وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله، وقالت الجهمية الفعل والمفعول واحد ولذلك قالوا كن مخلوقاً وقال السلف التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة ففعل الله صفة الله والمفعول من سواه من المخلوقات.

انتهى نقله ابن حجر في شرح البخاري.

ثم قال ابن حجر: ومسئلة التكوين مشهورة بين المتكلمين وأصلها أنهم اختلفوا هل صفة الفعل قديمة أو حادثة فقال جمع من السلف منهم أبو حنيفة هي قديمة. وقال آخرون منهم ابن كلاب والأشعري هي حادثة لئلا يلزم أن يكون المخلوق قديماً وأجاب الأول بأنه يوجد في الأزل صفة الخلق، ولا مخلوق فأجاب الأشعري بأنه لا يكون خلق ولا مخلوق كما لا يكون ضارب ولا مضروب، فالزموه بحدوث الصفات فيلزم حلول الحوادث بالله تعالى إلى آخر كلامه فيه، ثم قال وتصرف البخاري يقتضي موافقة القول الأول والصاير إليه يسلم من الوقوع في مسئلة حوادث لا أول لها والله أعلم.

بيان السنة

٢ـ عقيدة الإمام أبي جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة الطحاوي

المتوفى سنة ٣٢١ قدس الله روحه ونور ضريحه

قال الشيخ الإمام الفقيه علم الأنام حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي المصري رحمه الله، هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم الأنصاري وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين، نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله أن الله تعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم[1] بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبهه الأنام، حي لا يموت قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها ابدياً ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا باحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية، ولا مربوب ومعنى الخالقية، ولا مخلوق وكما أنه محي الموتى بعدما احيا استحق هذا الاسم

---

(١) لو عبر المصنف رحمه الله بأنه الأول كما نص عليه القرآن في قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ الآية ونص عليه المعصوم ﷺ بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء» الخ لكان أولى.

قبل احيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم ذلك، بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً لم يخف عليه شيء قبل أن خلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي من يشاء عدلاً وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره آمنا بذلك كله وأيقنا أن كلا من عنده وأن محمد ﷺ عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين[1].

وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى (والنور والضياء)[2]، وأن القرآن كلام الله تعالى بدأ بلا كيفية قولاً وأنـزله على نبيه وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه حيث قال تعالى: ﴿**سأصليه سقر**﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿**إن هذا إلا قول البشر**﴾ علمنا (وأيقنا)[3] أنه قول خالق البشر ولا يشبهه قول البشر ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر فمن ابصر هذا فقد اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر والرؤية حق لأهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره**﴾. وتفسيره على ما أراد الله تعالى، وعلمه وكل ما جاء في ذلك من

---

(١) لو قال: وخليل رب العالمين لكان هو المتعين لثبوته بالنص لأن الخلة أخص من المحبة كما هي أعلا درجات المحبة ولئلا يتوهم أن الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ كما قال بعضهم وهذا قول باطل.

(٢) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٣) وفي نسخة: بزيادة: وايقنا.

الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من أسلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوساً تائهاً شاكاً زائغاً لا مؤمناً مصدقاً ولا جاحداً مكذباً ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس بمعناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود[1] والغايات والاركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات والمعراج حق وقد أسري بالنبي ﷺ وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله العلي وأكرمه سبحانه وتعالى بما شاء وأوحى إلى عبده ما أوحى والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته حق والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار والميثاق، الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته حق، وقد علم الله فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة، ولا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه. وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك، نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم

---

(١) قوله «تعالى عن الحدود» إلى قوله «والمعراج» هذه الألفاظ من الألفاظ المبتدعة المحتملة للحق والباطل فلا يجوز اطلاق نفيها أو اثباتها على الله تعالى كما هي طريقة السلف فإن طريقة السلف الصالح اثبات ما أثبته لنفسه سبحانه أو اثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه عن نفسه سبحانه ونفاه عنه رسوله والسكوت عما عدا ذلك نفياً وإثباتاً.

عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون﴾، فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

فهـذه جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى وهي درجة الراسخين في العلم لأن العلم علمان، علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فانكار العلم الموجود كفر. وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يصح[1] الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود، ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمـع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما اخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلى العبد أن يعلم أن الله سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك بمشيئته تقديراً محكماً مبرماً، ليس له ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محـول ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه، ولا يكون مكون إلا بتكوينه، والتكوين لا يكون إلا حسناً جميلاً، وذلك من عقد الايمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته، كما قال الله تعـالى: ﴿وخلق كل شيء فقـدره تقـديراً﴾، وقال تعالى: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ فويل لمن صار لله في القدر خصيماً وأحضر للنظر فيه قلباً سقيماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً، والعرش والكرسي حق كما بين الله تعالى في كتابه وهو جل جلاله مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد اعجز عن الاحاطة خلقه، ونقول أن الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليماً ايماناً وتصديقاً وتسليماً ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم على الحق المبين، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ وعلى آله معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، ولا نخوض في الله ولا نماري في الدين ولا نجادل في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمداً ﷺ وعلى آله

---

(١) وفي نسخة: يثبت بدل يصح.

أجمعين وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين، ولا نكفر احداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين أن يعفو عنهم ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم، والأمن والاياس سبيلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا نخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[1]، وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان كله حق والإيمان واحد وأهله في أصله سواء[2]، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن وأكرمهم أطوعهم بالتقى والمعرفة واتبعهم للقرآن والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤا به وأهل الكبائر «من أمة محمد ﷺ»[1] في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عز وجل عارفين مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر الله عز وجل في كتابه: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وإن شاء عذبهم في النار بقدر جنايتهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته ذلك بأن الله جل جلاله مولى لأهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكناً بالإسلام حتى نلقاك به ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة وعلى من مات منهم ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم

---

(١) اقتصاره على قوله: «والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ذهب المصنف إلى القول بهذا تبعاً لامامه أبي حنيفة ومذهب الأئمة الثلاثة وجمهور السلف أنه التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.

(٢) قوله: «الإيمان واحد وأهله في أصله سواء» بل الصحيح أنهم يتفاضلون تفاضلاً كثيراً.

(٣) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

شيء من ذلك ونذر سرائرهم إلى الله تعالى ولا نرى السيف على أحدٍ من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف، ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندع عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة ونحب أهل العدل والأمانة ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين برهم وفاجرهم إلى يوم القيامة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

ونؤمن بالكرام الكاتبين وأن الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتب والثواب والعقاب والصراط والميزان* البعث وهو حشر الأجساد واحياؤها يوم القيامة حق والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً ولا يبيدان وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم للجنة فضلاً منه ومن شاء منهم للنار عدلاً منه وكل يعمل لما قد فرغ منه وصائر إلى ما خلق له والخير والشر مقدران على العباد والاستطاعة ضربان أحدهما الاستطاعة التي يوجد بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل واما الاستطاعة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل (وبها يتعلق الخطاب)(١) وهو كما قال الله تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ وأفعال العباد (هي)(٢) خلق الله وكسب (من)(٣) العباد ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نقول، لا حيلة لأحد ولا حول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا

---

(١) و (٢) و (٣) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله وكل شيء يجـري بمشيئتة الله وعلمه وقضائه، فغلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أحداً، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وفي دعاء الأحياء وصدقتهم منفعة للأموات والله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وكان من أهل الحين والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهم الخلفاء الراشدون الأئمة المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله «وبشرهم بالجنة»[1]، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم اجمعين ومن أحسن القول في اصحاب رسول الله وأزواجه (الطاهرات من كل دنس)[2] وذرياته (المقدسين من كل رجس)[3] فقد بريء من النفاق* وعلماء السلف من الصالحين السابقين والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل ولا نفضل أحداً من الأولياء على الأنبياء، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم.

---

(١) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٢) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٣) ا بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

ونؤمن (بأشراط الساعة من)[1] خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما السـلام من السمـاء، ونؤمن بخروج يأجوج ومأجوج، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها، ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة، ونرى الجماعة حقاً، وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً ودين الله عز وجل في السماء والأرض واحد وهو دين الإسلام قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، وقال تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ، وهو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن واليأس، فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكـرنـاه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهـواء المختلفـة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية مثل المشبهة (والمعتزلة)[2] والجهمية والجبرية والقدرية، وغيرهم من الذين خالفوا (السنة)[3] والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن براء منهم وهم عندنا ضلال ارادياء، والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين[4].

---

(١) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٢) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٣) ما بين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٤) النسخة التي اعتمدناها أصلاً لطبع هذه الرسالة هي مطبوعة المطبعة الشرقية بجدة المؤرخة في ١٣٤٤/١١/٢٣هـ وقد عارضناها بنسخ أخرى. أهـ كلام سماحة المشرف على تحقيق طبع هذه المجموعة.

٣ـ عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٠٠ هجرية

كتاب عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي نفعنا الله بعلومه في الدين وعفى الله عنا وعنه وعن والدينا والمسلمين أجمعين. آمين

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله المتفرد بالكمال والبقاء والعز والكبرياء الموصوف بالصفات والأسماء والمنزه عن الاشباه والنظراء، الذي سبق علمه في بريته بمحكم القضاء من السعادة والشقاء، واستوى على عرشه فوق السماء وصلى الله على الهادي إلى المحجة البيضاء والشريعة الغراء محمد سيد المرسلين والأنبياء وعلى آله وصحبه الطاهرين الاتقياء صلاة دائمة إلى يوم البقاء اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والعمل والنية وأعاذنا وإياك من الزيغ والزلل أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة وعلماء الأمة اتفقت أقوالهم وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله عز وجل، وأنه واحدا أحد فرد صمد حي قيوم سميع بصير، لا شريك له، ولا وزير ولا شبيه ولا نظير، ولا عدل ولا مثيل، وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة الذي نطق بها كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد وصح به النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته وجاهد في الله حق جهاده وأقام الملة وأوضح الحجة وأكمل الدين وقمع الكافرين ولم يدع للحد مجالاً ولا لمجادل مقالاً.

وروى طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيداً. قال أي آية؟ قال: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**.

فقال عمر إني لأعلم ذلك اليوم الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ ونحن بعرفة عشية جمعة فأمنوا بما قال الله سبحانه في كتابه وصح عن نبيه وأمروه كما ورد من غير تعرض لكيفيته واعتقاد شبيه أو مثيل أو تأويل يؤدي إلى التعطيل ووسعتهم السنة المحمدية والطريقة المرضية ولم يتعدوا بها إلى البدعة الردية فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العليا فمن صفات الله التي وصف بها نفسه الإستواء فقال عز من قائل في سورة الأعراف: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**، وقال في سورة يونس عليه السلام: **﴿إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**. وقال في سورة الرعد: **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾**، وقال في سورة طه: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**، وقال في سورة الفرقان: **﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾**، وقال في سورة السجدة: **﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**، وقال في سورة الحديد: **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**، فهذه سبعة مواضع أخبر فيها سبحانه أنه على العرش، وروى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي، فهو عنده فوق العرش».

وروى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر سبع سموات وما بينهن ثم قال: وفوق ذلك بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال ما بين اظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش ما بين أعلاه وأسفله وما بين سماء إلى سماء والله تعالى فوق ذلك». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والقزويني.

وقالت أم سلمة زوج النبي ﷺ ومالك بن أنس في قوله عز وجل: **﴿الرحمن**

على العرش استوى﴾ الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والاقرار به إيمان والجحود به كفر.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو أمرأته إلى فراشة فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى».

وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحاً ومساء».

وروى معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لجارية: «أين الله؟» قالت: في السمـاء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة».

رواه مسلم بن الحجاج وأبو داود وأبو عبد الرحمن النسائي ومن أجهل جهلاً وأسخف عقلاً وأضل سبيلاً ممن يقول أنه لا يجوز أن يقال أين الله بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: أين الله، وروى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت زينب بنت جحش تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات. رواه البخاري. وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر المؤمن عند موته، وأنه يعرج بروحه حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل. رواه الإمام أحمد والدار قطني وغيرهما.

وروى أبـو الـدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم واشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك، على هذا الوجع فيبرأ». رواه أبو القاسم الطبري في سننه.

وفي هذه المسئلة أدلة من الكتاب والسنة يطول بذكرها الكتاب ومنكر أن يكون الله عز وجل في جهة العلو بعد هذه الآيات والأحاديث مخالف لكتاب الله، ومنكر

لسنة رسول الله ﷺ، وقال مالك بن أنس الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان، وقال الشافعي خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه، وجمع عليه قلوب أصحاب نبيه ﷺ، وقال عبد الله بن المبارك نعرف ربنا فوق سبع سموات، باين من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية أنه هاهنا وأشار إلى الأرض، ومن الصفات التي نطق بها القرآن وصححت بها الأخبار، الوجه، قال الله عز وجل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وقال عز وجل: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

وروى أبو موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «جنان الفردوس أربع: ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وروى أبو موسى قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع فقال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يحفظ القسط، ويرفعه، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النار، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره، ثم قرأ ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب وخبر الصادق الأمين فيجب الإقرار بها والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات وتواترت الأخبار وصحة الآثار بأن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب الإيمان والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وامراره من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تنزيه، ينفي حقيقة النزول.

فروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر». وفي لفظ ينزل الله عز وجل ولا يصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة، ولا نزول ملك لما روى مسلم باسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل

الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يضيء الفجر».

وروى رفاعة بن عروبة الجهني أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول لا اسأل عن عبادي أحداً غيري، من ذا الذي يستغفرني اغفر له، من ذا الذي يدعوني استجيب له، من ذا الذي يسألني اعطيه، حتى ينفجر الصبح». رواه الإمام أحمد.

وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول ويدحضان حجة كل مبطل. وروى حديث النزول علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري، وعمرو بن عبسة، وأبو الدرداء، وعثمان بن أبي العاص، ومعاذ بن جبل وأم سلمة زوج النبي ﷺ، وخلق سواهم رضي الله عنهم ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نصف له كيفية أو نشبهه بنزول المخلوقين، وقد قال بعض العلماء سئل أبو حنيفة عنه يعني النزول فقال: ينزل بلا كيف، وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة: الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث أن هذه الأحاديث قد روتها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها، ولا نفسرها.

وروينا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت أنا وأبي عابرين في المسجد فسمع قاصاً يقص في حديث النزول، فقال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال» فارتعد ابي رحمه الله واصفر لونه ولزم يدي فأمسكته حتى سكن ثم قال قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا رسول الله ﷺ أغير على ربه منك، قال كما قال رسول الله ﷺ وانصرف. قال حنبل قلت لأبي عبد الله يعني أحمد ينزل الله إلى سماء الدنيا قلت نزوله بعلمه أو ماذا، فقال لي اسكت عن هذا مالك ولهذا امض.

الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد على ما جاءت به الآثار وبما جاء به لكتاب، وقال اسحق بن راهويه، قال لي الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب،

هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ ينزل ربنا عز وجل شأنه كل ليلية إلى السماء الدنيا كيف ينزل قال: قلت أعز الله الأمير لا يقال لأمر الرب عز وجل كيف إنما ينزل بلا كيف ومن قال يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد اتى بقول مبتدع ورأي مخترع ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز والثابتة صح عن رسول الله ﷺ المصطفى الأمين اليدان قال الله عز وجل: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾، وقال عز وجل: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته خيبتنا وأخرجتنا، فقال آدم أنت موسى كلمك الله تكليماً وخط لك التوراة بيده واصطفاك برسالته فبكم وجدت في كتاب الله وعصى آدم ربه فغوى، قال بأربعين سنة، قال: أفتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسول الله ﷺ فحج آدم موسى فلا نقول يد كيد، ولا نكيف ولا نشبه، ولا نتناول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل. بل نؤمن بذلك ونثبت الصفة من غير تحديد ولا تشبيه ولا يصح حمل اليدين على القدرتين فإن قدرة الله عز وجل واحدة ولا على النعمتين فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، كما قال عز وجل ﴿**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾، وكل ما قال الله عز وجل في كتابه، وصح عن رسول الله ﷺ بنقل العدل عن العدل مثل المحبة والمشيئة والارادة والضحك والفرح والعجب والبغض والسخط والكره والرضى وسائر ما صح عن الله ورسوله. وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين واستوحشت منها نفوس المعطلين ومما نطق به القرآن وصح به النقل من الصفات النفس قال الله عز وجل اخباراً عن نبيه عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾، وقال عز وجل: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ وقال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه

ذراعـاً، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي اتيته هرولة».
وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله يرى في الآخرة، كما جاء في كتابه وصح به النقل عن رسوله، قال الله عز وجل: **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**.

وروى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً ليلة مع رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: انكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، وفي رواية سترون ربكم عياناً.

وروى صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة، قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه، قال فوالله ما اعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» ثم تلى **﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾**. رواه مسلم.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه الناس ينظرون إلى الله تعالى بأعينهم يوم القيامة، وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه من قال أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ومن مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلماً بكلام مسموع مفهوم مكتوب، قال الله عز وجل: **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**.

وروى عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، ثم ينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل.

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما قتل عبد الله بن حرام قال

رسول الله ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟» قال: بلى. قال: «وما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، قال يا عبد الله تمن علي أعطك، قال: يا رب تحيني فأقتل فيك ثانية، قال إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾». رواه ابن ماجة.

والقرآن كلام الله عز وجل ووحية وتنزيله والمسموع من القارىء كلام الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، وإنما سمعه من التالي، وقال عز وجل: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، وقال عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، وقال عز وجل: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين﴾، وهو محفوظ في الصدور كما قال عز وجل: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾.

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن فلهو أشد تغصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها، وهو مكتوب في المصاحف منظور بالأعين»، قال الله عز وجل: ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور﴾، وقال عز وجل: ﴿إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾.

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أحب أن يأتي علي يوم ولا ليلة حتى انظر في كلام الله عز وجل يعني القراءة في المصحف، وقال عبد الله بن أبي مليكة كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يأخذ المصحف فيضعه على وجهه فيقول كتاب ربي وكلام ربي عز وجل، وأجمع أئمة السلف والمقتدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القرآن ليس بخالق ولا مخلوق، لكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود.

وروى عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشائخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود. رواه محمد بن جرير بن يزيد الفقيه وهبة الله بن الحسن بن منصور الحافظ الطبريان في كتاب السنة لهما قد ادرك عمرو بن دينار أبا هريرة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.

واحتج أحمد بن حنبل على ذلك بأن الله كلم موسى فكان الكلام من الله والاستماع من موسى، وبقوله عز وجل: ﴿**ولكن حق القول مني**﴾. وروى الترمذي من رواية خباب بن الأرت أن النبي ﷺ قال: «إنكم لن تقربوا إلى الله بأفضل مما خرج منه يعني القرآن» ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عز وجل لا حكاية ولا عبارة قال الله عز وجل: ﴿**ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه**﴾. وقال: ﴿**المص**﴾، وقال: ﴿**الر**﴾، وقال: ﴿**المر**﴾، وقال: ﴿**كهيعص**﴾، وقال: ﴿**حم عسق**﴾، فمن لم يقل أن هذه الأحرف عين كلام الله عز وجل فقد مرق من الدين وخرج عن جملة المسلمين، ومن أنكر أن يكون حروفاً فقد كابر العيان وأتى بالبهتان.

وروى الترمذي من طريق عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل فله عشر حسنات، قال الترمذي: هذا حديث خاص صحيح. ورواه غيره من الأئمة. أما إني لا أقول ﴿**الم**﴾ حرف، ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف.

وروى يعلى بن مملك عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. رواه أبو داود وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو عيسى الترمذي. ، وقال حديث حسن صحيح. وروى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن نقتري إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأحبار وفيكم الأحمر والأسود اقرؤا القرآن قبل أن يأتي أقوام يقرؤنه يقيمون حروفه كما يقام السهم لايجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه» رواه ابو بكر الآجري وأئمة غيره.

وروي عن أبي بكر وعمر أنهما قالا اعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. وروى أبو عبيد في فضائل القرآن بإسناده قال: سئل علي رضي الله عنه عن الجنب يقرأ القرآن، فقال لا ولا حرفاً، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من كفر بحرف منه يعني القرآن فقد كفر به أجمع، وقال ايضاً من حلف بسورة البقرة فعليه بكل حرف منها يمين.

وقال طلحة بن مصرف، قرأ رجل على معاذ بن جبل فترك واوا فقال: لقد تركت حرفاً أعظم من جبل أحد، وقال الحسن البصري في كلام له: قال الله عز وجل: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**﴾، وما تدبر آياته إلا اتباعه. أما والله وما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى أن احدهم ليقول قرأت القرآن كله فما اسقطت منه حرفاً، وقد اسقطه والله كله.

وقال عبد الله بن المبارك من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن، ومن قال لا اؤمن بهذه اللام فقد كفر، وروى عبد الله بن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله الناس يوم القيامة وأشار بيده إلى الشام عراة غرلا بهما قال: قلت ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من أهل النار بطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار واحد من أهل الجنة بطلبه بمظلمة حتى اقصه منه، قالوا وكيف؟ وإنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا قال بالحسنات والسيئات» رواه أحمد وجماعة من الأئمة.

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء كجر السلسلة على الصفوان فيخرون سجداً وذكر الحديث. وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج باطل ومحال، قال الله عز وجل: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾. وكذلك قوله تعالى اخباراً عن السماء والأرض أنهما قالتا ﴿**أتينا طائعين**﴾ فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات.

وروي عن النبي ﷺ أنه كلمه الذراع المسموة وأنه سلم عليه الحجر، وسلمت عليه الشجرة، وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، قليله وكثيره بقضاء الله، وقدره لا يكون شيء إلا بارادته ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلاً، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلاً فهو سر استأثر به وعلم حجبه عن خلقه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال الله عز وجل: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾**، وقال عز وجل: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين﴾**، وقال عز وجل: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**.

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه محضرة فنكس وجعل ينكث بمحضرته ثم قال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال: اعملوا وكل ميسر لما خلق له». أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: **﴿وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى﴾** الآية.

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق احدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه مسلم في الصحيح وأبو داود في السنن وغيرهما من الأئمة أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما

الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت، قال: «نعم» وفيه من الأدلة ما لو استقصيناه لأدى إلى الاملال واجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أن رسول الله ﷺ أسري به إلى فوق سبع سموات ثم إلى سدرة المنتهى أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مسجد بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعاً ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح، ومن قال أن الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى فقد غلط ومن قال أنه منام وأنه لم يسر بجسده فقد كفر، قال الله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾.

وروى قصة الإسراء عن النبي ﷺ أبو ذر وأنس بن مالك ومالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله وشداد بن أوس وغيرهم رضي الله عنهم، كلها صحاح مقبولة مرضية عند أهل النقل مخرجة في الصحاح وأنه عليه السلام رأى ربه عز وجل كما قال عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ قال الإمام أحمد فيما روينا عنه أن النبي ﷺ رأى ربه عز وجل فإنه مأثور عن النبي صحيح رواه قتادة عن عكرمة عن بن عباس والحديث على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ والكلام فيه بدعة لكن نؤمن به كما جاء على ظاهره، ولا نناظر فيه أحداً وروى عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وروى عطاء عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه مرتين، وروي عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قيل له بم تجيب عن قول عائشة من زعم أن محمداً ﷺ قد رأى ربه عز وجل الحديث قال: يقول النبي ﷺ: «رأيت الله عز وجل»، وفي حديث شريك بن عبد الله بن عمر عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: فرجعت إلى ربي وهو في مكانه، والحديث بطوله مخرج في الصحيحين والمنكر لهذه اللفظة بعد هذا الحديث راد على الله ورسوله ويعتقدون أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد إن شاء الله أن اخبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لحرصك على الحديث أن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه». رواه البخاري.

وروى حديث الشفاعة بطوله أبو بكر الصديق وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وأبو موسى عبد الله بن قيس وأبو هريرة رضي الله عنهم ثم الإيمان بأن لرسول الله ﷺ حوضاً ترده أمته كما صح عنه، وأنه كما بين عدن إلى عمان البلقاء. وروي من مكة إلى بيت المقدس وبألفاظ أخر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء. رواه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وأبي بن كعب وأبو ذر وثوبان مولى رسول الله ﷺ وأبو أمامة الباهلي ويزيد الأسلمي رضي الله عنهم.

والإيمان بعذاب القبر حق واجب وفرض لازم رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأبو أيوب وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وأبو هريرة وأبو بكرة وأبو رافع وعثمان ابن أبي العاص، وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وعائشة زوج النبي ﷺ واختها أسماء وغيرهم رضي الله عنهم، وكذلك الإيمان بمسألة منكر ونكير والإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبداً خلقتا للبقاء لا للفناء. وقد صح في ذلك أحاديث عدة، والإيمان بالميزان، قال الله تعالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾، والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال الله عز وجل: ﴿**فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً**﴾، وقال عز وجل: ﴿**ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**﴾، وقال تعالى: ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيماناً**﴾.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون» وفي رواية وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان ولمسلم وأبي داود فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والاستثناء في الإيمان

سنة ماضية، فإذا سئل الرجل المؤمن أنت قال: إن شاء الله. روى ذلك عبد الله ابن مسعود وعلقمة بن قيس والأسود بن يزيد وأبو وائل شقيق بن سلمة ومسروق بن الأجدع ومنصور بن المعتمر وإبراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم الضبي وفضل بن عياض وغيرهم رضي الله عنهم، وهـذا استثنـاء على يقين فأنزل الله عز وجل: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾، والإيمان هو الإسلام وزيادة قال الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾.

وروى عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الـزكـاة، وصيام رمضـان، وحـج البيت الحرام»، فهذه حقيقة الإسلام والإيمان فحقيقته ما رواه أبو هريرة فيما قدمناه. وروى سعد بن أبي وقاص قال: «اعطى رهطاً وأنا جالس وترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً هو اعجبهم إلي فقمت فقلت مالك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، فقال رسول الله ﷺ «أو مسلماً» ذكر ذلك سعد ثلاثاً وأجابه بمثل ذلك» ثم قال: «إني لاعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه» قال الزهري فترى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل الصالح قلنا: فعلى هذا قد يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر بالله عز وجل.

ونؤمن بأن الدجال خارج في هذه الأمة محالة كما أخبر رسول الله ﷺ وصح عنه أن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيأتيه وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق فيهرب عنه فيقتله عند باب لد الشرقي ولد من أرض فلسطين بالقرب من الرملة على نحو ميلين منها.

نؤمن بأن ملك الموت أرسل إلى موسى عليه السلام فصكه ففقأ عينه، كما صح عن رسول الله ﷺ لا ينكره إلا ضال مبتدع راد على الله ورسوله، ونؤمن بأن الموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح كما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادياً يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه.

ثم ينادي مناد يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون**﴾.

فصل: ونعتقد أن محمداً المصطفى خير الخلائق وأفضلهم وأكرمهم على الله عز وجل وأعلاهم درجة وأقربهم إلى الله وسيلة بعثه الله رحمة للعالمين وخصه بالشفاعة في الخلائق أجمعين. روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل، واحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة، وكان النبي من الأنبياء يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»، وذكر حديث الشفاعة بطوله. وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول لك امرت أن لا افتح لأحد قبلك» رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم وأبو داود.

ونعتقد: أن خير هذه الأمة وأفضلها بعد رسول الله ﷺ صاحبه الأخص وأخوه في الإسلام ورفيقه في الهجرة والغار أبو بكر الصديق وزيره في حياته وخليفته بعد وفاته عبد الله بن عثمان عتيق بن أبي قحافة ثم بعده الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام وأظهر الدين ثم بعده ذو النورين أبو عبد الله عثمان بن عفان الذي جمع القرآن وأظهر العدل والإحسان ثم ابن عم رسول الله ﷺ وختنه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين فهؤلاء الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون ثم الستة الباقون من العشرة طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام

وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم أجمعين فهؤلاء العشرة الكرام البررة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ، فنشهد لهم بها كما شهد لهم بها اتباعاً لقوله وامتثالاً لأمره، وقد شهد رسول الله ﷺ بالجنة لثابت بن قيس بن شماس وعبد الله بن سلام ولبلال ابن رباح ولجماعة من النساء والرجال من أصحابه وبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وأخبر أنه رأى الرميصا ابنة ملحان في الجنة، فكل من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة شهدنا له ولا نشهد لأحد غيرهم بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ونكل علم الخلق إلى خالقهم، فالزم رحمك الله ما ذكرت لك من كتاب ربك العزيز، وكلام نبيك الكريم، ولا تحد عنه ولا تبغ الهدى من غيره ولا تغتر بزخارف المبطلين وآراء المتكلفين فإن الرشد والهدى والفوز والرضى فيما جاء منَ عند الله ورسوله لا فيما أحدثه المحدثون وأتى به المتنطعون من آرائهم المضمحلة ونتائج عقولهم الفاسدة وارض بكتاب الله وسنة نبيه ورسوله بدلاً من قول كل قائل وزخرف وباطل.

فصـــل: في فضائل الاتباع: روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «نحمد الله ونثني عليه بما هو أهله، ثم يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» ثم يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش صبحكم مسائكم ثم قال: من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعاً فإليَّ وأنا أولى بالمؤمنين»، رواه مسلم والنسائي، ولم يذكر مسلم وكل ضلالة في النار.

وروى زيد بن أرقم قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر» ثم قال: «أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي، فاجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهمـــا كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن تركه وأخطأه كان على الضلالة وأهل

بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات» رواه مسلم .

وروى العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا. قال: أوصيكم بتقوى الله وعليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح . ورواه ابن ماجة وفيه قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال: «تخافون والذي نفسي بيده لتصب عليكم حتى لا يزيغ قلب احدكم إن أزاغه الا هي وايم الله لقد تركتكم على البيضاء ليليها ونهارها سواء» قال ابو الدرداء: «صدق رسول الله ﷺ تركنا على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» رواه ابن ماجة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم أو عملتم بهما: كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» رواه أبو القاسم الطبري الحافظ في السنن، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: إنما أنا متبع ولست بمبتدع، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قد فرضت لكم الفرائض وسننت لكم السنن وتركتكم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنا نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما دمنا تمسكنا بالأثر».

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني وهو مؤمن فسألت الزهري ما هذا فقال: من الله العلم وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت، وفي رواية: فإن أصحاب رسول

الله قد امروها وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في أي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا اهتدى، ومن استبصر بها بصر ومن خالفه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا» وقال الأوزاعي اصبر على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم وقال نعيم بن حماد: من شبه الله فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه من ذلك تشبيها وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل.

وقال ابو بكر المروزي سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والاسراء وقصة العرش فصححها أبو عبد الله وقال قد تلقاها العلماء بالقبول من الأخبار كما جاءت.

وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فإنهم لم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم، فقد فارق الجماعة فإنه وصفه بصفة لا شيء، وقال عباد بن العدام: قدم علينا شريك بن عبد الله، فقلنا إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث، إن الله ينزل إلى سماء الدنيا والرؤية وما أشبه هذه الأحاديث فقال: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنة في الصلاة والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة وآثار من السلف فالزمها وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله وصالح سلف الأمة ممن حصل الاتفاق عليه من خيار الأئمة ودع أقوال من كان عندهم محقوراً مهجوراً مبعداً مدحوراً مذموماً ملوماً وان اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى اتباعهم فلا تغتر بكثرة أهل الباطل فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» رواه مسلم وغيره.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» وفي رواية «قيل فمن الناجية قال ما أنا عليه وأصحابي». رواه جماعة من الأئمة واعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أتو من طرائق ثلاث فطائفة روت أحـاديث الصفات وكذبوا رواتها فهؤلاء أشد ضرراً على الإسلام وأهله من الكفار وأخرى قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأولى والثالثة جانبوا القولين وأخذوا بزعمهم بنزولها وهم يكذبون فأداهم ذلك إلى القولين الأولين وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأولتين فمن السنن اللازمة السكوت عما لم يرد فيه نص عن رسوله أو يتفق المسلمون على اطلاقه وترك التعرض له بنفي أو اثبـات، وكما لا يثبت إلا بنص شرعي، كذلك لا ينفى إلا بدليل سمعي، نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يرضيه من القول والعمل والنية وأن يحيينا على الطريقة التي يرضـاهـا ويتوفانا عليها وأن يلحقنا بنبيه وخيرته من خلقه محمد المصطفى وآله وصحبه ويجمعنا في دار كرامته إنه سميع قريب مجيب وكل حديث لم نضفه إلى من أخرجه فهو متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

تم المعتقد بعون الله وأسأل الله أن يحينا ويميتنا عليه آمين يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين[1].

---

(١) ووجدنا في ذيل هذه الرسالة: تم بقلم فقير ربه وأسير دينه عبده راجي عفو ربه وغفرانه محمد الحمد بن سايح غفر الله له ولوالديه ولوالدي والديه ومشايخه واحبابه ومن صنع إليه معروفاً آمين وذلك في ليلة الجمعة المباركة التي هي ليلة تسع وعشرين من الشهر الحرام رجب الفرد سنة ١٣٠٢ هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

٤ـ عقيدة الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي

هذه رسالة كتبها الشيخ الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ رحمه الله إلى أهل حمص:

اعلمـوا رحمكم الله أن ربكم عظيم قدير كبير لا تدرك صفـاته بالعقول ولا يتجاوز فيها ما ورد به المنقول وانه لا يشبه بمخلوقاته ولا تشبه صفاتهم بصفاته، كمـا لا تشبه ذواتهم بذاته ولا يتجاوز في وصفه ما ورد به الخبر الصحيح والأثر الصريح، ولا تفسروه باراتكم ولا ترجعوا إلى أهوائكم واقتصروا في آيات الصفات واخبارها على مجرد الرواية والقراءة معتقدين أن الله ليس له شبيه ولا نظير وقفوا حيث وقف سلفكم وامتثلوا في ذلـك ما أمـر به أئمتكم وخافوا على أنفسكم أن تتكلموا بالله سبحانه لم يسبقكم به من يجب قبول قوله فتهلكوا وأنتم لا تعلمون وتبتدعون وأنتم تحسبون أنكم مهتدون واعلموا أن دين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه وأن الطريق المستقيم هي الوسط وأنه قد هلك في صفات الله تعالى طائفتان طائفة غلت فشبهت صفاته بصفات خلقه، وحملوا ما سمعوا من صفات الله على ما عقلوه من مخلوقاته فصاروا إلى التشبيه والتجسيم فضلوا عن الصراط المستقيم وطـائفـة رفضت الاخبار الصحيحة ورغبت عن مقالة سيد الأولين والآخرين ﷺ وتأولت ما لم يمكنها بمقتضى رأيها وغيرت ما قال الله وقال رسوله بأهوائها فضلت وأضلت وأهل الحق سلكوا طريقاً مستقيماً بين الطريقين آمنوا وأسلموا فسلموا ولم ويتجاوزوا المنقول ولا حكموا في رد قول الصادق وتفسيره العقول، وقالوا آمنا به بالمعنى الذي أراد به المتكلم به هو أعلم بمراده ولم يتجاوزوا لفظه ولا أولوه ولا

فسروه ومتى نازعتهم أنفسهم إلى شيء من ذلك قمعوها بشيئين أحدهما أن من مضى من السلف لم يزيدوا على مجرد التلاوة والرواية ولم يفسروا ولا تأولوا وهم غير مشكوك في صوابهم وصحة عقائدهم وسدادهم وقد أمرنا باتباعهم واعلمنا أن الحق ما كانوا عليه فيجب علينا اتباعهم وسلوك طريقهم ونعلم أن من سلك غير طريقهم افضى إلى غير دارهم التي هي دار السلام والثاني أننا علمنا صدق القائل فوجب علينا الإيمان به ولم يحط علمنا بمراده ومعنى كلامه فوجب علينا السكوت عما لا نعلمه، وعلمنا أن المتكلم عالم بمعنى كلامه، فنحن نؤمن بذلك المعنى فنقول ما قال، ونسكت عما سكت عنه، فلا حرج علينا في الإيمان بقوله لأنه حق، ولا في السكوت عما سكت عنه لأنه صواب، واتباع الصادق في حالتي قوله وسكوته هو معنى السنة، لأن المراد بالسنة طريقة رسول الله ﷺ، فأهل السنة هم الذين اتبعوا رسولهم ﷺ وطريقته وآمنوا بمقالته وسكتوا في مواضع سكوته، وأهل البدع هم الذين احدثوا من عند أنفسهم مقالة لم يتبعوا فيها رسولهم فاحذروا رحمكم الله الزيادة على المنقول وحمل صفات الله سبحانه على مقتضى المعقول وعليكم بالحذر على أنفسكم من كلمة ليس فيها خبر صحيح، فإنكم تسئلون عنها والأمر صعب والطريق خطر، قد ضل عنه أمم ذوو عقول وافرة وعلوم جمة فاعتصموا بالسنة وعضوا عليها النواجذ، ولا تلتفتوا يميناً وشمالاً ولا تميلوا قليلاً ولا كثيراً ولا تزيدوا على ما قاله الصادق حرفاً واحداً ولا تذكروا من عند أنفسكم معنى زائداً فإنه قد بلغنا عن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله أنه بلغه عن أمير يتكلم في التشبيه فقال: يا ابن أخي الأمر لا يزال صغيراً ما لم يصل إليكم، وقد بلغني أنك تقول كذا وكذا، قال: نعم يا ابا سعيد، قال: يا بن أخي هلم فلنتكلم في بعض مخلوقات الله تعالى قبل أن نتكلم في الله كم بلغك أن لجبريل جناحاً قال ستمائة جناح، قال: يا بن أخي قد اسقطنا عنك خمسمائة جناح وسبعة وتسعين جناحاً صف ثلاثة أجنحة، هذان جناحان في جنبيه فاين الثالث ففكر الأمير في نفسه فلم يدر اين يجعله فقال لا أدري، فقال يا بن أخي، إذا كان بعض مخلوقاته قد عجزت عن وصفه فكيف بمن خلقه، فقال يا أبا سعيد أنا تايب إلى الله سبحانه أو كما جاءت الحكاية وهذا تنبيه لذوي الألباب عن العجز عن ادراك وصف رب الأرباب وأبلغ من هذا أن

الإنسان يعجز عن إدراك نفسه فإنه لا يدري أين توضع النفس والروح والفرق بينهما وحقيقة النوم ومحله ومتى يجد لذته في حال ذهاب عقله أو قبله أو بعده وأشباه هذا مما يجهله الإنسان من نفسه وهو لا يغب عنها فكيف يقدر قدر من لم يره ولا له مثل يقاس عليه ولا نظير يستدل به عليه ونسأل الله لنا ولكم السلامة والتوفيق والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

٥ ـ العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد. فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: والإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصف به رسوله محمداً ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه. لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، سبحانه وتعالى. فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه. ثم رسله صادقون مصدوقون، بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال: ﴿**سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين**﴾ فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل. وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط

الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾، وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء. وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يؤوده حفظهما ـ أي لا يكرثه ولا يثقله ـ وهو العلي العظيم﴾.

ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وقوله سبحانه: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم﴾، وقوله سبحانه: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾. وقوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾. وقوله: ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾. وقوله: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ وقوله: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾. وقوله: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. وقوله: ﴿إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سمعياً بصيرا﴾. وقوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾. وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد﴾. وقوله ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم، إن الله يحكم ما يريد﴾، وقوله: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾. وقوله: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المسحنين﴾ ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾، ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾، ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾. وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله﴾. وقوله: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾. وقوله: ﴿إن الله

يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾. وقوله: ﴿وهو الغفور الـودود﴾. وقوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمـا﴾، ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾، ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾، ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾، ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾. وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾، وقوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه﴾، وقوله: ﴿ذلك بأنهـم اتبعـوا ما أسخط الله وكـرهـوا رضوانه﴾. وقوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾. وقوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾. وقوله: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾. وقوله: ؟﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾. وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾، ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً﴾. وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾. وقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾، ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾. وقوله: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾، ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾، ﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾. وقوله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾، ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾، ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجـواهم؟ بلى، ورسلنـا لديهم يكتبون﴾. وقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾. وقوله: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى؟﴾، ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في السـاجدين إنه هو السميع العليم﴾، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾. وقوله: ﴿وهو شديد المحال﴾. وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين﴾. وقوله: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾. وقوله: ﴿إنهم يكيدون كيداً، وأكيد كيداً﴾. وقوله: ﴿إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً﴾، ﴿وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟

والله غفور رحيم﴾. وقوله: ﴿ولله العزة ولرسوله﴾. وقوله عن إبليس: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾. وقوله: ﴿تبارك اسم ربك ذو الجلال والإكرام﴾. وقوله: ﴿فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا؟﴾، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾، ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾، ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾، ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾، ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ - ﴿ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض، سبحان الله عما يصفون. عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون﴾ - ﴿فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ - - ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾.

وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ في سبعة مواضع: في سورة الأعراف قوله: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾، وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾، وقال في سورة الرعد: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾، وقال في سورة طه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. وقال في سورة الفرقان: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾. وقال في سورة آلم السجدة- ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾. وقال في سورة الحديد: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾. وقوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾. ﴿بل رفعه الله إليه﴾، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات، فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذباً﴾ - ﴿أأمنتم من في

السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً؟ فستعلمون كيف نذير؟﴾ وقوله: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير﴾، ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة. إن الله بكل شيء عليم﴾. وقوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾، ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾، ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾، ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

وقوله: ﴿ومن اصدق من الله حديثاً؟﴾، ﴿ومن أصدق من الله قيلا؟﴾، ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾، ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾، ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، ﴿منهم من كلم الله﴾، ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾، ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾ ﴿وإذ نادى ربك موسى: ان ائت القوم الظالمين﴾، ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما﴾، ﴿ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين؟﴾، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾، ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾، ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا، كذلكم قال الله من قبل﴾، ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته﴾، ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾، ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾، ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾، ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ - ﴿والله أعلم بما ينزل﴾، ﴿قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون﴾، ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾، ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾، ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾، ﴿على الأرائك ينظرون﴾، ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، ﴿لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد﴾.

فصل في سنة رسول الله ﷺ

فالسنة تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه. وما وصف الرسول ﷺ به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك. مثل قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟» متفق عليه.

وقوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته» الحديث. متفق عليه. وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه. وقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره، ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجكم قريب» حديث حسن.

وقوله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله ـ وفي رواية: عليها قدمه ـ فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول قط قط» متفق عليه، وقوله (يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار) متفق عليه.

وقوله: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان». وقوله في رقية المريض: «ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض. اغفر لنا حوبنا وخطايانا. أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع. فيبرأ» حديث حسن رواه أبو داود وغيره.

وقوله «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». حديث صحيح. وقوله «والعرش فوق الماء والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه». حديث حسن رواه أبو داود وغيره. وقوله للجارية «أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم، وقوله «أفضل الإيمان: أن تعلم أن الله معك حيثما كنت» حديث حسن.

وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه، فإن الله قبل وجهه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه» متفق عليه. وقوله ﷺ «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والانجيل والقرآن، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة، أنت آخذ بناصيتها. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر». رواه مسلم. وقوله: لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً، والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته». متفق عليه، وقوله: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا». متفق عليه. إلى امثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به.

فإن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم. فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية القدرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب أسماء الإيمان والدين، بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فصل

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على**

العرش، **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم. والله بما تعملون بصير﴾**، وليس معنى قوله: **﴿وهو معكم﴾** أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان. وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مهيمن عليهم، مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني الربوبية.

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله ـ من أنه فوق العرش وأنه معنا ـ حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن ظاهر قوله «في السماء»، أن السماء تقله أو تظله. وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. **﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾**.

فصـــل

وقد دخل في ذلك: الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾** الآية وقوله ﷺ للصحابة، لما رفعوا أصواتهم بالذكر «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً. إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته». وما ذكر في الكتاب والسنة ـ من قربه ومعيته ـ لا ينافي ما ذكر في علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه.

فصـــل

ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز اطلاقاً القول بأنه حكاية عن كلام

الله أو عبارة عنه، بل اذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة، إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله تعالى.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبره به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعمية، فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم. فيقال للرجل «من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبي. وأما المرتاب فيقول: هاهاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. فيضرب بمزربة من حديد، فيصيح صيحةً يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق» ثم بعد هذه الفتنة - إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، وتنصب الموازين، فتوزن فيها أعمال العباد: **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسرو أنفسهم في جهنم خالدون﴾**. وتنشر الدواوين - وهي صحائف الأعمال - فأخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره**

في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾، ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة. وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون عليها.

وفي عرصات القيامة: الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

والصراط منصوب على متن جهنم ـ وهو الجسر الذي بين الجنة والنار ـ يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركوب الابل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم. فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة: محمد ﷺ، وأول من يدخل الجنة من الأمم: أمته. وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات. أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف، حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة، حتى تنتهي إليه. وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقيين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشىء الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، والآثار من العلم المأثورة عن الأنبياء. وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده.

وتؤمن الفرقة الناجية ـ أهل السنة والجماعة ـ بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم بما الخلق عاملون به بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا أبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال. ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق «فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة» فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿**ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض؟ إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير**﴾ وقال: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير**﴾ وهذا التقدير ـ التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء. وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً. فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد. ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته. وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا

يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

والعباد فاعلون حقيقة. والله خالق أفعالهم. والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة. والله خالقهم وخالق قدرتهم، وإرادتهم، كما قال تعالى: **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم: وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾**.

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

فصل

ومن أصول أهل السنة: **إن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان،** وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه في آية القصاص: **﴿فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف﴾**، وقال: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾**.

ولا يسلبون الفاسق المليء بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق في قوله تعالى: **﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾**، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾** وقوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع

الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن».

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمان فاسق بكبيرته، فلا يعطى الإسم المطلق ولا يسلب مطلق الإسم.

فصـــــل

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم والسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله تعالى: **﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون: ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾**.

وطـاعـة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه».

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والاجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ـ «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه. وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة وثابت بن قيس ابن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمـة بعـد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر ـ أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان

وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي (وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة. وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». وقال أيضاً للعباس عمه ـ وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي». وقال: «إن الله اصطفى بني اسماعيل، واصطفى من بني اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»..

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها من المنزلة العالية. والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة. ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيها ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه، هم فيه معذورون: إما مجتهدون ومصيبون وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة. ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى أنه يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ

«أنهم خير القرون»، «وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم». ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران: وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم.

ثم القدر الذي ينكر من فعل قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، عن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

فصل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وإتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس. ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدى كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة. وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً

لنفس القوم المجتمعين.

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأفعال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين. والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح. وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

فصـــــل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد، والجمع والأعياد مع الأمراء، أبراراً كانوا أو فجاراً، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». وشبك بين اصابعه، وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر». ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال. ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عمن ظلمك. ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق. ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها.

وكل ما يقولونه، ويفعلونه، من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ. لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الإبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة».

فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا، ويهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الوهاب والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

٦ـ كتــاب التوحيــد

الذي هو حق الله على العبيد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

كتـاب التوحيـد

وقول الله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾. وقوله: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾، الآية. وقوله: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾، الآية. وقوله: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**﴾، الآية. وقوله: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً**﴾ الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله - وأن هذا صراطي مستقيماً**﴾ الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلموا» أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل: (الأولى) الحكمة في خلق الجن والإنس. (الثانية) أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه. (الثالثة) أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله: ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾. (الرابعة) الحكمة في إرسال الرسل. (الخامسة) أن

الرسالة عمت كل أمة. (السادسة) أن دين الأنبياء واحد. (السابعة) المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾**، الآية. (الثامنة) أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله. (التاسعة) عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك. (العاشرة) الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: **﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾** وختمها بقوله: **﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً﴾**، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: **﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾**.

(الحادية عشرة) آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾**. (الثانية عشرة) التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته. (الثالثة عشرة) معرفة حق الله تعالى علينا. (الرابعة عشرة) معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه. (الخامسة عشرة) أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة. (السادسة عشرة) جواز كتمان العلم للمصلحة. (السابعة عشرة) استحباب بشارة المسلم بما يسره. (الثامنة عشرة) الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله. (التاسعة عشرة) قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم. (العشرون) جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض. (الحادية والعشرون) تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الارداف عليه. (الثانية والعشرون) جواز الارداف على الدابة. (الثالثة والعشرون) فضيلة معاذ بن جبل. (الرابعة والعشرون) عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم﴾** الآية: عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان

من العمل» أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حرم النار على من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى: يا رب، علمني شيئاً اذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى، لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه والترمذي وحسنه.

وللترمذي عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لاتيتك بقرابها مغفرة».

فيه مسائل: (الأولى) سعة فضل الله. (الثانية) كثرة ثواب التوحيد عند الله. (الثالثة) تكفيره مع ذلك للذنوب. (الرابعة) تفسير الآية «٨٢» التي في سورة الأنعام. (الخامسة) تأمل الخمس التي في حديث عبادة. (السادسة) أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده، تبين لك معنى قول: (لا إله إلا الله)، وتبين لك خطأ المغرورين. (السابعة) التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان. (الثامنة) كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله. (التاسعة) التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه. (العاشرة) النص على أن الأرضين سبع كالسموات. (الحادية عشرة) أن لهن عماراً. (الثانية عشرة) إثبات الصفات خلافاً للأشعرية. (الثالثة عشرة) أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله». أن ترك الشرك، ليس قولها باللسان. (الرابعة عشرة) تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه. (الخامسة عشرة) معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله. (السادسة عشرة) معرفة كونه روحاً منه. (السابعة عشرة) معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار. (الثامنة عشرة) معرفة قوله: «على ما كان من العمل». (التاسعة عشرة) معرفة أن الميزان له كفتان. (العشرون) معرفة ذكر الوجه.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾.
وقال: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: (لا رقية إلا من عين أو حمة). قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع.

ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتى فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن. فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال سبقك بها عكاشة».

فيه مسائل: (الأولى) معرفة مراتب الناس في التوحيد. (الثانية) ما معنى تحقيقه. (الثالثة) ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين. (الرابعة) ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. (الخامسة) كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. (السادسة) كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل. (السابعة) عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. (الثامنة) حرصهم على

الخبر. (التاسعة) فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. (العاشرة) فضيلة أصحاب موسى. (الحادية عشرة) عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام. (الثانية عشرة) أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها. (الثالثة عشرة) قلة من استجاب للأنبياء. (الرابعة عشرة) أن من لم يجئه أحد يأتي وحده. (الخامسة عشرة) ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة. (السادسة عشرة) الرخصة في الرقية من العين والحمة. (السابعة عشرة) عمق علم السلف لقوله. (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن كذا وكذا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني. (الثامنة عشرة) بعد السلف عن مدح الإحسان بما ليس فيه: (التاسعة عشرة) «قوله أنت منهم» علم من أعلام النبوة. (العشرون) فضيلة عكاشة. (الحادية والعشرون) استعمال المعاريض. (الثانية والعشرون) حسن خلقه ﷺ.

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**، وقال الخليل عليه السلام: **﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾**. وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرياء». وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»**. رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة». ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»**.

فيه مسائل: (الأولى) الخوف من الشرك. (الثانية) أن الرياء من الشرك. (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر. (الرابعة) أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين. (الخامسة) قرب الجنة والنار. (السادسة) الجمع بين قربهما في حديث واحد. (السابعة) أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة. ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس. (الثامنة) المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام. (التاسعة) اعتباره بحال الأكثر لقوله: **﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾**. (العاشرة) فيه تفسير: «لا إله إلا الله»، كما ذكره البخاري. (الحادية

عشرة) فضيلة من سلم من الشرك.

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿**قل: هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ الآية.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب. فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله ـ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فبات الناس يدركون ليلتهم: أيهم يعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن يعطاها. فقال، أين علي بن أبي طالب؟ فقيل، هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتى به. فبصق في عينيه، ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال، انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من حمر النعم. «يدركون» أي يخوضون.

فيه مسائل: (الأولى) أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ. (الثانية) التنبيه على الاخلاص. لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه. (الثالثة) أن البصيرة من الفرائض. (الرابعة) من دلائل حسن التوحيد، كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسبة. (الخامسة) أن من قبح الشرك كونه مسبة لله. (السادسة) وهي من أهمها ـ أبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك. (السابعة) كون التوحيد

أول واجب. (الثامنة) أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة. (التاسعة) أن معنى: «أن يوحدوا الله» معنى شهادة أن لا إله إلا الله. (العاشرة) أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها. (الحادية عشرة) التنبيه على التعليم بالتدريج. (الثانية عشرة) البداءة بالأهم فالأهم. (الثالثة عشرة) مصرف الزكاة. (الرابعة عشرة) كشف العالم الشبهة عن المتعلم. (الخامسة عشرة) النهي عن كرائم الأموال. (السادسة عشرة) اتقاء دعوة المظلوم. (السابعة عشرة) الاخبار أنها لا تحجب. (الثامنة عشرة) من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء. (التاسعة عشرة) قوله «لأعطين الراية ـ الخ» علم من أعلام النبوة. (العشرون) تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً. (الحادية والعشرون) فضيلة علي رضي الله عنه. (الثانية والعشرون) فضل الصحابة في دركهم تلك الليلة عن بشارة الفتح. (الثالثة والعشرون) الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى. (الرابعة والعشرون) الأدب في قوله: «على رسلك». (الخامسة والعشرون) الدعوة إلى الإسلام قبل القتال. (السادسة والعشرون) أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا. (السابعة والعشرون). الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب عليهم». (الثامنة والعشرون) المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام. (التاسعة والعشرون) ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد. (الثلاثون) الحلف على الفتيا. .

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: **﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾**، الآية. وقوله: **﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني﴾**. الآية. وقوله: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** الآية. وقوله: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾**، الآية.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال لا إله إلا الله وكفر بما كان يعبد** من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل»، وشرح هذه الترجمة. ما

بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة: وبينها بأمور واضحة.

(منهـا) آية الإسـراء بين فيهـا الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها: بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

(ومنها) آية براءة بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه، طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم.

(ومنهـا) قول الخليل عليه السلام للكفار: (إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني» فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: «وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون».

(ومنهـا) آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: **﴿وما هم بخارجين من النار﴾** ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟ ولم يحب الله.

(ومنها) قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه. وحسابه على الله؟» وهذا من أعظم ما يبين لك معنى «لا إله إلا الله» فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿**قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره؟**﴾ الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال: من الواهنة فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً». رواه أحمد بسند لا بأس به، وله عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه مرفوعاً «من علق تميمة فقد أشرك»، ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿**وما يؤمن إكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾».

فيه مسائل: (الأولى) التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك. (الثانية) أن الصحابي لو مات،مات وهي عليه ما أفلح فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. (الثالثة) أنه لم يعذر بالجهالة. (الرابعة) أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: «لا تزيدك إلا وهنا». (الخامسة) الانكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. (السادسة) التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه. (السابعة) التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك. (الثامنة) أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. (التاسعة) تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة. (العاشرة) أن تعليق الودع عن العين من ذلك. (الحادية عشرة) الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له: أي لا ترك الله له.

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت» وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

الرقي والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود وعن عبد الله بن حكيم مرفوعاً «من تعلق شيئاً وكل إليه» رواه أحمد والترمذي.

«التمائم» شيء يعلق على الأولاد من العين، ولكن إذا كان من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه و «الرقي» هي التي تسمى العزائم،ورخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة و «التولة» شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها. والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا رويفع» لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه».

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الرقى والتمائم. (الثانية) تفسير التولة. (الثالثة) أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء. (الرابعة) أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك. (الخامسة) أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء: هل هي من ذلك أم لا؟. (السادسة) أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك. (السابعة) الوعيد الشديد على من تعلق وترا. (الثامنة) فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان. (التاسعة) أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ الآيات.

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء

عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط. كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ الله أكبر، إنها لسنن. قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون**﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية النجم. (الثانية) معرفة صورة الأمر الذي طلبوا (الثالثة) كونهم لم يفعلوا. (الرابعة) كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه. (الخامسة). أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل. (السادسة) أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم. (السابعة) أن النبي ﷺ لم يعذرهم لأمر، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم، فغلظ الأمر بهذه الثلاث. (الثامنة) الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿**اجعل لنا إلهاً**﴾. (التاسعة) أن نفي هذا من معنى: «لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك. (العاشرة) أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة. (الحادية عشرة) أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا. (الثانية عشرة) قولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. (الثالثة عشرة) ذكر التكبير عند التعجب، خلافاً لمن كرهه. (الرابعة عشرة) سد الذرائع. (الخامسة عشرة) النهي عن التشبيه بأهل الجاهلية. (السادسة عشرة) الغضب عند التعليم. (السابعة عشرة) القاعدة الكلية لقوله «إنها السنن». (الثامنة عشرة) أن هذا علم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر. (التاسعة عشرة). أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا. (العشرون) أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر. أما «من ربك؟» فواضح وأما «من نبيك؟ فمن اخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك؟» فمن قولهم: «اجعل لنا إلهاً» إلى آخره. (الحادية والعشرون) أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين. (الثانية والعشرون) أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر».

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له**﴾، الآية. وقوله: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾.

عن علي رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله. لعن الله من لعن والديه. لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم. لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لاحدهما قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب. قالوا له: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة» رواه أحمد.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير ﴿**إن صلاتي ونسكي**﴾. (الثانية) تفسير ﴿**فصل لربك وانحر**﴾. (الثالثة) البداءة بلعنة من ذبح لغير الله. (الرابعة) لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك. (الخامسة) لعن من آوى محدثاً، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله فيلتجيء إلى من يجيره من ذلك. (السادسة) لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير. (السابعة) الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم. (الثامنة) هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب. (التاسعة) كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم. (العاشرة) معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر. (الحادية عشرة) أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: «دخل النار في ذباب». (الثانية عشرة) فيه شاهد للحديث الصحيح «الجنة أقرب إلى أحدكم

من شراك نعله والنار مثل ذلك» . (الثالثة عشرة) معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ الآية .

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : «نذر رجل أن ينحر ابلاً ببوانة ، فسأل النبي ﷺ فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .

فيه مسائل : (الأولى) تفسير قوله : ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ . (الثانية) أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة . (الثالثة) رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الاشكال . (الرابعة) استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك . (الخامسة) أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع . (السادسة) المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله . (السابعة) المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله . (الثامنة) أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية . (التاسعة) الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده . (العاشرة) لا نذر في معصية . (الحادية عشرة) لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿يوفون بالنذر﴾ وقوله : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» .

فيه مسائل: (الأولى) وجوب الوفاء بالنذر. (الثانية) إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك. (الثالثة) أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقوله تعالى: ﴿**وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً**﴾.

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية الجن. (الثانية) كونه من الشرك. (الثالثة) الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك. (الرابعة) فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره. (الخامسة) أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر، أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو**﴾. الآية. وقوله: ﴿**فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه**﴾، الآية. وقوله: ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة**﴾ الآيتين، وقوله: ﴿**أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**﴾.

وروى الطبراني باسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل».

فيه مسائل: (الأولى) أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على

الخاص. (الثانية) تفسير قوله: ﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك﴾. (الثالثة) أن هذا هو الشرك الأكبر. (الرابعة) أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين. (الخامسة) تفسير الآية التي بعدها. (السادسة) كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً. (السابعة) تفسير الآية الثالثة. (الثامنة) أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه. (التاسعة) تفسير الآية الرابعة. (العاشرة) أنه لا أضل ممن دعا غير الله. (الحادية عشرة) أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. (الثانية عشرة) أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعدواته له. (الثالثة عشرة) تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو (الرابعة عشرة) كفر المدعو بتلك العبادة. (الخامسة عشرة) أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس. (السادسة عشرة) تفسير الآية الخامسة. (السابعة عشرة) الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين. (الثامنة عشرة) حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله عز وجل.

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿**أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟ ولا يستطيعون لهم نصراً**﴾ الآية. وقوله: ﴿**والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير**﴾ الآية.

وفي الصحيح عن أنس قال: «شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾. وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر «اللهم العن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد» فأنزل الله: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾.

في رواية: يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمر والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قال: «يا معشر قريش

ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً. يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآيتين. (الثانية) قصة أحد. (الثالثة) قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة. (الرابعة) أن المدعو عليهم كفار. (الخامسة) أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم. (السادسة) أنزل الله عليه في ذلك: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾. (السابعة) وقوله: ﴿**أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾، فتاب عليهم فأمنوا. (الثامنة) القنوت في النوازل. (التاسعة) تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم. (العاشرة) لعنة المعين في القنوت. (الحادية عشرة) قصته ﷺ لما نزل عليه: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾. (الثانية عشرة) جده ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لم يفعله مسلم الآن. (الثالثة عشرة) قوله للأبعد والأقرب. «لا أغني عنك من الله شيئاً» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً» فإذا صرح رسول الله ﷺ وهو سيد المرسلين أنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن، تبين له التوحيد وغربة الدين.

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**﴾.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو**

العلي الكبير﴾ فيسمعها مسترق السمع ـ مسترق السمع هكذا: بعضه فوق بعض. وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا: كذا وكذا؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: مذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: «قال الحق وهو العلي الكبير» فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآية. (الثانية) ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين وهي الآية قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب. (الثالثة) تفسير قوله: **﴿قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**. (الرابعة) سبب سؤالهم عن ذلك. (الخامسة) أن جبريل هو الذي يجيبهم بقوله بعد ذلك: «قال كذا وكذا». (السادسة) ذكر أن أول من يرفع رأسه هو جبريل. (السابعة) أنه يقوله لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه. (الثامنة) أن الغشي يعم أهل السموات كلهم. (التاسعة) ارتجاف السموات لكلام الله. (العاشرة) أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله. (الحادية عشرة) ذكر استراق الشياطين. (الثانية عشرة) صفة ركوب بعضهم بعضاً. (الثالثة عشرة) إرسال الشهب. (الرابعة عشرة) أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الأنس قبل أن يدركه. (الخامسة عشرة) كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان. (السادسة عشرة) كونه يكذب معها مائة كذبة. (السابعة عشرة) أنه لم

يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. (الثامنة عشرة) قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة. (التاسعة عشرة) كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها. (العشرون) اثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة. (الحادية والعشرون) التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل. (الثانية والعشرون) أنهم يخرون سجداً.

باب الشفاعة

وقول الله تعالى: ﴿**وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع**﴾. وقوله: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً**﴾، وقوله: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾. وقوله: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾. وقوله: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض**﴾. الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له: ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع.

وقال له أبو هريرة: «من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآيات. (الثانية) صفة الشفاعة المنفية. (الثالثة) صفة الشفاعة المثبتة. (الرابعة) ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود. (الخامسة) صفة ما يفعله النبي ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع. (السادسة) من أسعد الناس بها. (السابعة) أنها لا تكون لمن أشرك بالله. (الثامنة) بيان حقيقتها.

باب قول الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية

في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ لاستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**، وأنزل في أبي طالب: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير قوله: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**. (الثانية) تفسير قوله: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**. (الثالثة) - وهي المسألة الكبرى - تفسير قوله ﷺ: **«قل لا إله إلا الله»** بخلاف ما عليه من يدعي العلم. (الرابعة) أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام. (الخامسة) جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه. (السادسة) الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه. (السابعة) كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهى عن ذلك. (الثامنة) مضرة أصحاب السوء على الإنسان. (التاسعة) مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر. (العاشرة) الشبهة للمبطلين في ذلك لاستدلال أبي جهل بذلك. (الحادية عشرة) الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته. (الثانية عشرة) التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم﴾.

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: **﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا. ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾**. قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا. ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت».

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؟ إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أخرجاه. قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

فيه مسائل: (الأولى) أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب. (الثانية) معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين. (الثالثة) أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم. (الرابعة) قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها. (الخامسة) أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل. (فالأول) محبة الصالحين (والثاني) فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خير، فظن من بعدهم أنهم أرادوا غيره. (السادسة) تفسير الآية التي في سورة نوح. (السابعة) جبلة الأدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد. (الثامنة) أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر. (التاسعة) معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل. (العاشرة) معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن

الغلو ومعرفة ما يؤول إليه. (الحادية عشرة) مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. (الثانية عشرة) معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في ازالتها. (الثالثة عشرة) معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

(الرابعة عشرة) وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال. (الخامسة عشرة) التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة. (السادسة عشرة) ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك. (السابعة عشرة) البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين. (الثامنة عشرة) نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. (التاسعة عشرة) التصريح أنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها معرفة قدر وجوده ومضرة فقده. (العشرون) أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب ما جاء من التغليظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله» فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل.

ولهما عنها قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً،

كما اتخذ إبراهيم خليلاً. ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

فقد نهى عنه في آخر حياته ثم أنه لعن ـ وهو في السياق ـ من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها: «خشي أن يتخذه مسجداً» فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً. وكل موضع قصد الصلاة فيه، فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلي فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً». ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.

فيه مسائل: (الأولى) ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نيه الفاعل. (الثانية) النهي عن التماثيل، فإذا اجتمع الأمران تغلظ الأمر في ذلك. (الثالثة) العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك. كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم. (الرابعة) نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. (الخامسة) أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم. (السادسة) لعنه إياهم على ذلك. (السابعة) أن مراده تحذيره إياه عن قبره. (الثامنة) العلة في عدم إبراز قبره. (التاسعة) في معنى اتخاذها مسجداً. (العاشرة) أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته. (الحادية عشرة) ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور. وهم أول من بنى عليها المساجد. (الثانية عشرة) ما يلي به ﷺ من شدة النزع. (الثالثة عشرة) ما أكرم به من الخلة. (الرابعة عشرة) التصريح بأنها أعلا من المحبة. (الخامسة عشرة) التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة. (السادسة عشرة) الإشارة إلى خلافته.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

وروى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره». وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: «كان يلت السويق للحاج».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أهل السنن.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الأوثان. (الثانية) تفسير العبادة. (الثالثة) أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه (الرابعة) قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. (الخامسة) ذكر شدة الغضب من الله. (السادسة) وهي من أهمها: صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان. (السابعة) معرفة أنه قبر رجل صالح. (الثامنة) أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية. (التاسعة) لعنه زوارات القبور. (العاشرة) لعنه من أسرجها.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات. وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم

حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختار.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية براءة. (الثانية) ابعاد أمته عن هذا الحي غاية البعد. (الثالثة) ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. (الرابعة) نهيه عن زيارة قبره على وجهه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال. (الخامسة) نهيه عن الاكثار من الزيارة. (السادسة) حثه على النافلة في البيت. (السابعة) أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة. (الثامنة) تعليليه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من آراء القرب. (التاسعة) كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾**. وقوله تعالى: **﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟ من لعنه الله وغضب عليه، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾**. وقوله تعالى: **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم: لنتخذن عليهم مسجدا﴾**.

عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخرجاه. ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارفها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. واعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وأن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» رواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما

أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد فئات من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثة، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، تبارك وتعالى».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية النساء. (الثانية) تفسير آية المائدة. (الثالثة) تفسير آية الكهف. (الرابعة) ـ وهي أهمها ـ ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بعضها ومعرفة بطلانها؟ (الخامسة) قولهم: أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين. (السادسة) ـ وهي المقصود بالترجمة ـ أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد. (السابعة) التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة. (الثامنة) العجب العجاب خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه: أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح. وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئات كثيرة. (التاسعة) البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. (العاشرة) الآية العظمى. أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. (الحادية عشرة) أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة. (الثانية عشرة) ما فيه من الآيات العظيمة. منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال وإخباره بأنه أعطى الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً. وسبي بعضهم بعضاً، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة: وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون في العقول. (الثالثة عشرة) حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. (الرابعة عشرة) التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾. وقوله: ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾.

قال عمر: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان». وقال جابر: «الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وعن جندب مرفوعاً: «حد الساحر: ضربه بالسيف» رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف. وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر» وصح عن حفصة رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقتلت» وكذا صح عن جندب قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية البقرة. (الثانية) تفسير آية النساء. (الثالثة) تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما. (الرابعة) أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس. (الخامسة) معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي. (السادسة) أن الساحر يكفر. (السابعة) أنه يقتل ولا يستتاب. (الثامنة) وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟.

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان ابن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة: زجر الطير والطرق: الخط يخط بالأرض والجبت:

قال الحسن (رنـة الشيطان) إسنـاده جيد. ولأبي داود والنسـائي وابن حبـان في صحيحه المسند منه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود، وإسناده صحيح. وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر. ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه». وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة: القالة بين الناس» رواه مسلم ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان لسحرا».

فيه مسائل: (الأولى) أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت. (الثانية) تفسير العيافة والطرق. (الثالثة) أن علم النجوم نوع من السحر. (الرابعة) أن العقد مع النفث من ذلك. (الخامسة) أن النميمة من ذلك. (السادسة) أن من ذلك بعض الفصاحة.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أبو داود. وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ». ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً. وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر، أو سحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقـد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى - إلى آخره».

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على

المسروق ومكانة الضالة، ونحو ذلك وقيل: هو الكاهن. والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق. وقال ابن عباس - في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم - «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

فيه مسائل: (الأولى) لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن. (الثانية) التصريح بأنه كفر. (الثالثة) ذكر من تكهن له. (الرابعة) ذكر من تطير له. (الخامسة) ذكر من سحر له. (السادسة) ذكر من تعلم أبا جاد. (السابعة) ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب ما جاء في النشرة

عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان» رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله. وفي البخاري عن قتادة: «قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه» أهـ. وروي عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحراً».

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان:

أحدهما حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن النشرة. (الثانية) الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه عما يزيل الاشكال.

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.
وقوله: ﴿قالوا طائركم معكم﴾. الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» أخرجاه. زاد مسلم «ولا نوء، ولا غول» ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة» ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك. وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»، رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود ولأحمد من حديث ابن عمرو. «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك» وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

فيه مسائل: (الأولى) التنبيه على قوله: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾، ﴿طائركم معكم﴾. (الثانية) نفي العدوى. (الثالثة) نفي الطيرة. (الرابعة) نفي الهامة. (الخامسة) نفي الصفر. (السادسة) أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب. (السابعة) تفسير الفأل. (الثامنة) أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر، يذهبه الله بالتوكل. (التاسعة) ذكر ما يقول من وجده. (العاشرة) التصريح بأن الطيرة شرك. (الحادية عشرة) تفسير الطيرة المذمومة.

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ،

وأضاع نصيبه، وتكلف مالا علم له به». انتهى. وكره قتادة: تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل: (الأولى) الحكمة في خلق النجوم. (الثانية) الرد على من زعم غير ذلك. (الثالثة) ذكر الخلاف في تعلم المنازل. (الرابعة) الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء
وقول الله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالإحسان، والطعن في الإنسان، والاستسقاء بالنجوم والنياحة». وقال: «النائحة إن لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه قال بعضهم: «لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله هذه الآية: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾** إلى قوله **﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذِّبون﴾**.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية الواقعة. (الثانية) ذكر الأربع التي من أمر

الجاهلية. (الثالثة) ذكر الكفر في بعضها. (الرابعة) أن من الكفر مالا يخرج عن الملة. (الخامسة) قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر». بسبب نزول النعمة. (السادسة) التفطن للإيمان في هذا الموضع. (السابعة) التفطن للكفر في هذا الموضع. (الثامنة) التفطن لقوله: «لقد صدق كذا وكذا». (التاسعة) اخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم؟». (العاشرة) وعيد النائحة.

بـــاب

قول الله تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾** الآية. وقوله: **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ـ إلى قوله ـ أحب إليكم من الله ورسوله﴾** الآية.

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه. ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه منه كما يكره أن يقذف في النار» وفي رواية: «لا يجد حلاوة الإيمان حتى إلى آخره.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً» رواه ابن جرير وقال ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾** قال: «المودة».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية البقرة. (الثانية) تفسير آية براءة. (الثالثة) وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال. (الرابعة) نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. (الخامسة) أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها. (السادسة) أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد

أحد طعم الإيمان إلا بها. (السابعة) فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا. (الثامنة) تفسير «وتقطعت بهم الأسباب». (التاسعة) أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً. (العاشرة) الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه من دينه. (الحادية عشرة) أن من اتخذ نداً تساوي محبته الله فهو الشرك الأكبر.

بـــاب

قول الله تعالى: **﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾**. وقوله: **﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾** الآية. وقوله: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾** الآية.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «أن من ضعف اليقين، أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره». وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية آل عمران. (الثانية) تفسير آية براءة. (الثالثة) تفسير آية العنكبوت. (الرابعة) أن اليقين يضعف ويقوى. (الخامسة) علامة ضعفه. ومن ذلك هذه الثلاث. (السادسة) أن اخلاص الخوف لله من الفرائض. (السابعة) ذكر ثواب من فعله. (الثامنة) ذكر عقاب من تركه.

بـــاب

قول الله تعالى: **﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾**. وقوله: **﴿إنما المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾** الآية. وقوله: **﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾**. وقوله: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: **﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** رواه البخاري والنسائي.

فيه مسائل: (الأولى) أن التوكل من الفرائض. (الثانية) أنه من شروط الإيمان. (الثالثة) تفسير آية الأنفال. (الرابعة) تفسير الآية في آخرها. (الخامسة) تفسير آية الطلاق. (السادسة) عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد في الشدائد.

بـــاب

قول الله تعالى: **﴿أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**. وقوله: **﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون؟﴾**.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله». وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر: الاشراك بالله والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية الأعراف. (الثانية) تفسير آية الحجر. (الثالثة) شدة الوعيد في القنوط.

باب من الإيمان بالله. الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: **﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**. قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»، ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى

الجاهلية» وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة». وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء»، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية التغابن. (الثانية) أن هذا من الإيمان بالله. (الثالثة) الطعن في النسب. (الرابعة) شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية. (الخامسة) علامة إرادة الله بعبده الخير. (السادسة) إرادة الله به الشر. (السابعة) علامة حب الله للعبد. (الثامنة) تحريم السخط. (التاسعة) ثواب الرضا بالبلاء.

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾** الآية.

وعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية الكهف. (الثانية) هذا الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله. (الثالثة) ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى. (الرابعة) أن من الأسباب: أنه تعالى خير الشركاء. (الخامسة) خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء. (السادسة) أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم﴾ الآيتين.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه: إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

فيه مسائل: (الأولى) إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة. (الثانية) تفسير آية هود. (الثالثة) تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة. (الرابعة) تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط. (الخامسة) قوله: «تعس وانتكس». (السادسة) قوله: «وإذا شيك فلا انتقش». (السابعة) الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟» وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، الآية. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: «أليس

يحـرمون ما أحل الله، فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله، فتحلونه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية النور. (الثانية) تفسير آية براءة. (الثالثة) التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي. (الرابعة) تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمـد بسفيان. (الخـامسة) تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية وعبادة الأحبار: هي العلم والفقه، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين. وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريـدون أن يتحـاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً**﴾ الآيات، وقوله: ﴿**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالـوا إنمـا نحن مصلحـون**﴾. وقـولـه: ﴿**ولا تفسـدوا في الأرض بعد اصلاحها**﴾، الآية. وقوله: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون؟**﴾ الآية.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من الهيود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ بالرشوة. وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكمان إليه، فنزلت: ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون**﴾ الآية. وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب ابن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم فضربه بالسيف فقتله.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

(الثانية) آية البقرة ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾. (الثالثة) تفسير آية الأعراف ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾. (الرابعة) تفسير ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾. (الخامسة) ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى. (السادسة) تفسير الإيمان الصادق والكاذب. (السابعة) قصة عمر مع المنافق. (الثامنة) كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الآية.

وفي صحيح البخاري قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض ـ لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات، استنكاراً لذلك ـ فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه. انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر «الرحمن» أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾.

فيه مسائل: (الأولى) عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات. (الثانية) تفسير آية الرعد. (الثالثة) ترك التحديث بما لا يفهم السامع. (الرابعة) ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر. (الخامسة) كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وإنه هلكة.

باب

قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾.

قال مجاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي». وقال عون بن عبد الله: «يقولون: لولا فلان لم يكن كذا». وقال قتيبة: «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا». وقال أبو العباس ـ بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى

قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث.

وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير معرفة النعمة وانكارها. (الثانية) معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير. (الثالثة) تسمية هذا الكلام انكاراً للنعمة. (الرابعة) اجتماع الضدين في القلب.

بـــــاب

قول الله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾.

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله: وحياتك يا فلان. وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لاتانا اللصوص. ولولا البط في الدار لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه: «ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي، وحسنه وصححه الحاكم. وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً».

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح. وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية البقرة في الأنداد. (الثانية) أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر. (الثالثة) أن

الحلف بغير الله شرك. (الرابعة) أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس. (الخامسة) الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بآبائكم من حلف له بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن الحلف بالآباء. (الثانية) الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى. (الثالثة) وعيد من لم يرض.

باب قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: انكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه.

وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده».

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لانتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: انكم لأنتم القول، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لانتم القول، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت نعم. قال فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده».

فيه مسائل (الأولى) معرفة اليهود بالشرك الأصغر. (الثانية) فهم الإنسان إذا كان له هوى. (الثالثة) قوله ﷺ: «أجعلتني لله ندا؟» فكيف بمن قال:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به. سواك. والبيتين بعده؟

(الرابعة) أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله: «يمنعني كذا وكذا». (الخامسة) أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي. (السادسة) أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الآية.

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» وفي رواية: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر».

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن سب الدهر. (الثانية) تسميته أذى لله. (الثالثة) التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر». (الرابعة) أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله» قال سفيان مثل «شاهٍ شاه».

وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه». وقوله «أخنع» يعني: أوضع.

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن التسمي بملك الأملاك. (الثانية) أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان. (الثالثة) التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بأن

القلب لم يقصد معناه. (الرابعة) التفطن أن هذا لاجلال الله سبحانه.

باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم. فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال: ما أحسن هذا. فما لك من الولد؟ قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال: فمن أكبرهم؟ قلت شريح، قال: فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره.

فيه مسائل: (الأولى) احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه. (الثانية) تغيير الاسم لأجل ذلك. (الثالثة) اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ الآية.

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال له عوف ابن مالك: كذبت، ولكنك منافق. لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق. فقال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه ـ وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب ـ فيقول له رسول الله ﷺ: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟» ما يلتفت إليه وما يزيده عليه.

فيه مسائل: (الأولى) وهي العظيمة ـ أن من هزل بهذا فهو كافر. (الثانية) أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان. (الثالثة) الفرق بين النميمة

والنصيحة لله ولرسوله. (الرابعة) الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله. (الخامسة) أن من الاعتذار مالا ينبغي أن يقبل.

بـــاب

ما جاء في قول الله تعالى: **﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي﴾** الآية.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس «يريد من عندي».

وقوله: «قال إنما أوتيته على علم عندي» قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم: فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. قال: فمسحه، فذهب عنه قذره، وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر - شك إسحاق فأعطي ناقة عشراء. وقال: وبارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعراً حسناً. فقال: أي أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل. فاعطي بقرة حاملاً. قال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والداً، فانتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم. قال: ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال: بعيراً أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة.

فقال له: كأني أعرفك: ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآية. (الثانية) ما معنى ليقولن «هذا لي». (الثالثة) ما معنى قوله: «أوتيته على علم عندي». (الرابعة) ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة».

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ الآية.

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية قال: «لما تغشاها آدم حملت. فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سمياه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً ثم حملت. فأتاهما، فقال مثل قوله، وأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً. ثم حملت، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث. فذلك قوله تعالى: ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته». وله

بسند صحيح عن مجاهد في قوله: «لئن أتيتنا صالحاً» قال: «أشفقا أن لا يكون إنساناً» وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل: (الأولى) تحريم كل اسم معبد لغير الله. (الثانية) تفسير الآية. (الثالثة) أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. (الرابعة) أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم. (الخامسة) ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

بـــــاب

قول الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ الآية.

ذكر ابن حاتم عن ابن عباس: «يلحدون في أسمائه» يشركون وعنه: «سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز» وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

فيه مسائل: (الأولى) إثبات الأسماء. (الثانية) كونها حسنى. (الثالثة) الأمر بدعائه بها. (الرابعة) ترك من عارض من الجاهلين الملحدين (الخامسة) تفسير الإلحاد فيها (السادسة) وعيد من ألحد.

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان. فقال النبي ﷺ: لا تقولوا السلام على الله. فإن الله هو السلام».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير السلام. (الثانية) أنه تحية. (الثالثة) أنها لا تصلح لله. (الرابعة) العلة في ذلك. (الخامسة) تعليمهم التحية التي تصلح لله.

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم

اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة. فإن الله لا مكرْ له» ولمسلم «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن الاستثناء في الدعاء. (الثانية) بيان العلة في ذلك. (الثالثة) قوله: «ليعزم المسألة». (الرابعة) اعظام الرغبة. (الخامسة) التعليل لهذا الأمر.

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل عبدي وأمتي وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي».

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن قول: عبدي وأمتي. (الثانية) لا يقول العبد: ربي، ولا يقال له أطعم ربك. (الثالثة) تعليم الأول قول: فتاي وفتاتي وغلامي. (الرابعة) تعليم الثاني. قول: سيدي ومولاي. (الخامسة) التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب لا يرد من سئل بالله

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل: (الأولى) اعاذة من استعاذ بالله. (الثانية) إعطاء من سأل بالله. (الثالثة) إجابة الدعوة. (الرابعة) المكافأة على الصنيعة. (الخامسة) أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه. (السادسة) قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود.

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب. (الثانية) إثبات صفة الوجه.

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿**يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا**﴾. وقوله: ﴿**الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا: لو أطاعونا ما قتلوا**﴾ الآية.

وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان».

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآيتين في آل عمران. (الثانية) النهي الصريح عن قول: «لو» إذا أصابك شيء. (الثالثة) تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان. (الرابعة) الإرشاد إلى الكلام الحسن. (الخامسة) الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله. (السادسة) النهي عن ضد ذلك هو العجز.

باب النهي عن سب الريح

عن أبي كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت بهة صححه الترمذي.
هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذي.

فيه مسائل: (الأولى) النهي عن سب الريح. (الثانية) الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره. (الثالثة) الإرشاد إلى أنها مأمورة. (الرابعة) أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

بـــــاب

قول الله تعالى: ﴿**يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء؟ قل إن الأمر كله لله**﴾ الآية. وقوله: ﴿**الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء**﴾ الآية.

وقال ابن القيم في الآية الأولى: فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده، ووعده الصادق. فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا. ﴿**فويل للذين كفروا من النار**﴾، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية آل عمران (الثانية) تفسير آية الفتح. (الثالثة) الاخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر. (الرابعة) أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر». ثم استدل بقول النبي ﷺ:

«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لأبنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني».

وفي رواية لأحمد، أن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: «لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار» قال: فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح رواه الحاكم في مستدركه.

فيه مسائل: (الأولى) بيان فرض الإيمان بالقدر. (الثانية) بيان كيفية الإيمان به. (الثالثة) احباط عمل من لم يؤمن به. (الرابعة) الاخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به. (الخامسة) ذكر أول ما خلق الله. (السادسة) أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة. (السابعة) براءته ﷺ ممن لم يؤمن به. (الثامنة) عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء. (التاسعة) أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط.

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي. فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه. ولهما عن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله». ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار. يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم». ولهما عنه مرفوعاً: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ»،ولمسلمعن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

فيه مسائل: (الأولى) التغليظ الشديد في المصورين. (الثانية) التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله: «ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقي». (الثالثة) التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: «فليخلقوا ذرة أو شعيرة». (الرابعة) التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً. (الخامسة) أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفساً يعذب بها في جهنم. (السادسة) أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح. (السابعة) الأمر بطمسها إذا وجدت.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾.

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة. ممحقة للكسب» أخرجاه. وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح. وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً؟ ـ ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤمنون،

وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن» وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

فيه مسائل: (الأولى) الوصية بحفظ الإيمان. (الثانية) الاخبار بأن الحلف منفقة للسعلة ممحقة للبركة. (الثالثة) الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه. (الرابعة) التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي. (الخامسة) ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون. (السادسة) ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة. وذكر ما يحدث بعدهم. (السابعة) ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون. (الثامنة) كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿**وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**﴾ الآية.

عن بريدة أن رسول الله ﷺ «كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغزوابسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزواولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنمية والفي شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم إن

تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك. فإنك لا تدري، أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟». رواه مسلم.

فيه مسائل: (الأولى) الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين. (الثانية) الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً. (الثالثة) قوله: «اغزوا بسم الله في سبيل الله». (الرابعة) قوله: «قاتلوا من كفر بالله». (الخامسة) قوله: «استعن بالله وقاتلهم». (السادسة) الفرق بين حكم الله وحكم العلماء. (السابعة) كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟.

باب ما جاء في الاقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل من الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته».

فيه مسائل: (الأولى) التحذير من التألي على الله. (الثانية) كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله. (الثالثة) أن الجنة مثل ذلك. (الرابعة) فيه شاهد لقوله: «أن الرجل ليتكلم بالكلمة» إلخ. (الخامسة) أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبي ﷺ: سبحان الله، سبحان الله، فما زال

يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال النبي ﷺ: ويحك: أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ـ وذكر الحديث». رواه أبو داود.

فيه مسائل: (الأولى) الانكار على من قال: نستشفع بالله عليك. (الثانية) تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة. (الثالثة) أنه لم ينكر عليه قول: «نستشفع بك على الله». (الرابعة) التنبيه على تفسير «سبحان الله». (الخامسة) أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: قولوا بقولكم، أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان». رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: «يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال: يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل: (الأولى) تحذير الناس عن الغلو. (الثانية) ما ينبغي أن يقول من قيل له: أنت سيدنا. (الثالثة) قوله: «ولا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق. (الرابعة) قوله: «ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي».

باب ما جاء في قول الله تعالى

قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾، الآية.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء على اصبع، والثرى على اصبع، وسائر الخلق على اصبع، ثم يقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾** الآية.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على اصبع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله» وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على اصبع، والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع» اخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون».

عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» قال: وقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد ابن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق. وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة. ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة. وكثف كل سماء خمسمائة سنة. وبين السماء السابعة والعرش، بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله سبحانه وتعالى فوق ذلك. وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل (الأولى) تفسير قوله: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾. (الثانية) أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه لم ينكروها ولم يتأولوها. (الثالثة) أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك. (الرابعة) وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم. (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والارضين في الأخرى. (السادسة) التصريح بتسميتها الشمال. (السابعة) ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك. (الثامنة) قوله: «كخردلة في كف أحدكم». (التاسعة) عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات. (العاشرة) عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي. (الحادية عشرة) أن العرش غير الكرسي والماء. (الثانية عشرة) كم بين كل سماء إلى سماء. (الثالثة عشرة) كم بين السماء السابعة والكرسي. (الرابعة عشرة) كم بين الكرسي والماء. (الخامسة عشرة) أن العرش فوق الماء. (السادسة عشرة) أن الله فوق العرش. (السابعة عشرة) كم بين السماء والأرض. (الثامنة عشرة) كثف كل سماء خمسمائة سنة. (التاسعة عشرة) أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وصلى الله على محمد خاتم المرسلين وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

٧ـ كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه، لما غلوا في الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا.

وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صورة هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله. ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ابن مريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم: ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما.

وإلا فهؤلاء المشركين مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيها: كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ

يشهدون لله هذه الشهادة، فاقرأ قوله تعالى: ١٠: ٣١ **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض؟ أمن يملك السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون: الله فقل: أفلا تتقون؟﴾**. وقوله: ٢٣: ٨٤ ـ ٨٩ **﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله! قل، أفلا تذكرون؟ قل: من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله. قل: أفلا تتقون؟ قل: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه؟ إن كنتم تعلمون؟ سيقولون: لله. قل: فأنى تسحرون؟﴾** وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد» كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده. كما قال تعالى: ٧٢: ١٨ **﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾**.

وكما قال تعالى: ١٣: ١٤ **﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾** وتحققت أن رسول الله ﷺ إنما قاتلهم ليكون الدعاء كله لله. والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله. وجميع أنواع العبادة كلها لله. وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام. وأن قصدهم الملائكة والأنبياء يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل أبى عن الاقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» فإن «الإله» عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً، أو شجرة أو قبراً أو جنياً، لم يريدوا أن «الإله» هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك. وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد) فأتاهم

النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: «لا إله إلا الله».

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها. والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه. فإنه لما قال لهم: قولوا: «لا إله إلا الله» قالوا: ٣٨: ٥ **﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب!﴾**.

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام. وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب. وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ٤: ٤٨ **﴿أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه. وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين.

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ١٠: ٥٨ **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون﴾**.

وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وهو قد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما كان يظن المشركون، خصوصاً أن الهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم. أنهم أتوه قائلين: ٧: ١٣٨ **﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾** فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم، أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ٦: ١١٢ **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس**

والجن، **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾** وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج، كما قال تعالى: ٤٠ : ٨٣ **﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾**.

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿٧: ١٦، ١٧ **﴿لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾**. ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن. ٤ : ٧٥ **﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾** والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين. قال تعالى: ٣٧ : ١٧٣ **﴿وأن جندنا لهم الغالبون﴾** فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان. كما هم الغالبون بالسيف والسنان وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله: ١٦ : ٨٩ **﴿تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾** فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: ٢٥ : ٣٣ **﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا﴾** قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في جوابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا.

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ومفصل. (أما المجمل) فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ٣ : ٧ **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا**

الله﴾ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ أو أن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه. وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ هذا أمر محكم بين، لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام رسول الله ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله عز وجل.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى: ﴿**وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾.

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، ويصدون بها الناس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره. ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم. وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟

فجاوبه بما تقدم، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**﴾ الآية، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه. وقد قال تعالى: ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات، ثم انظر أنى يؤفكون، قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم**﴾. واذكر له قوله تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا: سبحانك، أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وإذ قال يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب**﴾.

فقل له: عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال: الكفار يريدون منهم. وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾.

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم. فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها، فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تقرأ أن الله افترض عليك اخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك:

فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: **﴿ادعو ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين﴾**.

فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء مخ العبادة.

فقل له: إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره، فلا بد أن يقول: نعم.

فإذا عملت بقول الله تعالى: **﴿فصل لربك وانحر﴾**، وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيده، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً. فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟

فقل: لا انكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ، الشافع المشفع وأرجو شفاعته ولكن الشفاعة كلها لله تعالى، كما قال تعالى: **﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾** ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال تعالى: **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** ولا يشفع النبي ﷺ في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه، كما قال تعالى: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾** وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾** فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن الله تعالى **إلا لأهل التوحيد** تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه فيّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبي ﷺ أعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله تعالى.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا. فقال تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك، فأطعه في قوله: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾.

وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: أن الله أعطاهم الشفاعة، فأطلبها منهم؟ فإن قلت: هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه. وإن قلت: لا: بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله.
فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرمه الله، وذكر أنه لا يغفره فإنه لا يدري فقل له: كيف تبرىء نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه؟ كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

فإن قال الشرك: عبادة الأصنام؟ ونحن لا نعبد الأصنام فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر، أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له، يقولون: أنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت. وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام. فهو المطلوب. ويقال له أيضاً:

قولكِ، الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم، لا يدخل في ذلك، فهذا يرد ما ذكره الله في كتابه من تعلق على الملائكة، أو عيسى أو الصالحين. فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟

فإن قال: هو عبادة الأصنام فقل: وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي؟

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله فقل: ما معنى عبادة الله؟ فسرها لي. فإن فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً، وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿**اجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب**﴾.

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه. فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين.

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه. فلما نجاكم إلى البر أعرضتم. وكان الإنسان كفوراً**﴾. وقال تعالى: ﴿**قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله، أو أتتكم الساعة، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين؟. بل إياه تدعون، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون**﴾. وقال تعالى: ﴿**وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه**- إلى قوله ﴿**قل تمتع بكفرك قليلاً، إنك من أصحاب النار**﴾. وقوله:

﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين﴾.

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى، ويدعون غيره في الرخاء. وأما في الضرر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين له الفرق أنه شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكمون عنهم الفجور: من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء. فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا. وهي أعظم شبههم: فأصخ سمعك لجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً. ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ونصدق القرآن. ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

فالجواب: أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء: أنه كافر، لم يدخل في الإسلام. وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج. ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿ولله على

الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾. ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله، كما قال تعالى: **﴿إن الـذين يكفـرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً﴾** فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحسان في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقـال أيضـاً: إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب بذلك كله لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه. وقد نطق به القرآن كما قدمنا. فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ هو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ـ وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤذنون ويصلون؟ فإن قال: أنهم يقولون: إن مسيلمة نبي: قلنا هذا هو المطلوب. إذا كان من رفع رجلاً في رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفـع شمسـان أو يوسف أو صحـابياً أو نبياً في رتبـة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ما أعظم شأنه: **﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾**.

ويقـال أيضـاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه، وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع

الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ اتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وانكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب (باب حكم المرتد) وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو يذكرها على وجه المزح واللعب؟.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿**يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم**﴾ أما سمعت الله كفرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون ويحجون ويوحدون؟ وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم**﴾ فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح.

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون المسلمين، أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها. فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضاً: ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع صلاحهم وعلمهم أنهم قالوا لموسى: ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾ وقول أناس من

الصحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف النبي ﷺ أن مثل هذا قول بني إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً﴾.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة. وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب، أن تقول: أن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا. ولا خلاف أن بني اسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، هذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم، بل العالم، قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجهال: التوحيد فهمناه: أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان. وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر، وهو لا يدري. فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا بكفر، كما فعل بنو إسرائيل. والذين سألوا النبي ﷺ. وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ.

ولهم شبهة أخرى: يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: «لا إله إلا الله». وقال: «اقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله» وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله، وأن أصحاب النبي ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قال لا

إله إلا الله، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلًا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾** أي فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله: **﴿فتبينوا﴾** ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه: أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه، إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟» وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم. لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، كذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق، لما أخبره رجل أنه منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**. وكان الرجل كاذباً عليهم، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى: وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ، قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

فالجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه. فإن الاستغاثة

بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ وكما يتسغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها الملخوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة: أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته. وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف دعاؤه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى: وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال: «ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: أما إليك فلا» قالوا: فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى. فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شديد القوى﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل. وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد. فأين هذا من استغاثة العباد والشرك، لو كانوا يفقهون؟

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فإن اختل شيء

من هذا لم يكن الرجل مسلماً. فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما. وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الاعذار، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿**اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً**﴾ وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبنائهم**﴾ فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾.

وهذه المسألة: مسألة كبيرة طويلة، تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة، وترى من يعمَل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولاهما ما تقدم من قوله: ﴿**لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان. وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً أومداراة، أو مشحة بوطنه أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المكره.

والآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿**إلا من أكره**﴾ فلم يستثن الله إلا المكره ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام. وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها.

والثانية قوله تعالى: ﴿**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة**﴾.

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل، أو البغض للدين أو محبة الكفر. وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجميعن.

٨ـ ثلاثة الأصول وأدلتها

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

(الأولى) العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية) العمل به.

(الثالثة) الدعوة إليه.

(الرابعة) الصبر على الأذى فيه. والدليل قوله تعالى: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب» العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾، فبدأ بالعلم قبل القول، والعمل.

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم ثلاث هذه المسائل، والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار. والدليل قوله تعالى: ﴿**إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً. فعصى فرعون الرسول**

فأخذناه أخذاً وبيلا﴾.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل والدليل قوله تعالى: **﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾**.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾**..

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين. وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**. ومعنى «يعبدون» يوحدون، وأعظم ما أمر الله به التوحيد. وهو إفراد الله بالعبادة. وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾**.

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ.

فإذا قيل لك: من ربك ؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** وكل من سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى: **﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا**

للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ . وقوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها: مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخفية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها. كلها لله تعالى والدليل قوله تعالى : ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى : ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾. وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة» والدليل قوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾. ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ . ودليل التوكل قوله تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ . وقوله : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين﴾، ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿فلا تخشوهم واخشون﴾ الآية، ودليل الإنابة قوله تعالى ﴿وانيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ الآية، ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله» ودليل الاستعاذة قوله تعالى : ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ودليل الاستغاثة قوله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ الآية، ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿قل إن

صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾ ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله» ودليل النذر قوله تعالى: **﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾**.

الأصل الثاني

معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو الإستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة لها أركان:

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾** ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وحد النفي من الإثبات «لا إله» نافياً جميع ما يعبد من دون الله «إلا الله» مثبتاً لعبادة الله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: **﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾**. وقوله تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾** ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**.

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

المرتبة الثانية

الإيمان وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

المرتبة الثالثة

الإحسان ركن واحد، وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» والدليل قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾. وقوله تعالى: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. إنه هو السميع العليم﴾. وقوله تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ الآية.

والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال:

صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: أخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: أخبرني عن اماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة والعراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: يا عمر أتدرون من السائل، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

الأصل الثالــــث

معرفة نبيكم محمد ﷺ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولاً. نبىء (باقرأ) وأرسل (بالمدثر) وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى: **﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر وثيابك فطهر. والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾**. ومعنى: **﴿قم فأنذر﴾** ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، و **﴿وربك فكبر﴾** عظمة بالتوحيد، و **﴿وثيابك فطهر﴾** أي طهر أعمالك عن الشرك، و **﴿والرجز فاهجر﴾** الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها والبراءة منها وأهلها، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشر عرج به إلى السماء وفرضت عليه صلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة. والدليل قوله تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى**

الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾ وقوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ قال البغوي رحمه الله: سبب نزول هذه الآية في المسلمين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة والصوم والحج، والاذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين، وتوفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها عنه الشرك، وجميع ما يكره الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ وكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون، ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾.

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾. وقوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾ وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم. والدليل قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾.

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل: بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤون بما عملتهم وذلك على الله يسير﴾.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾.

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده**﴾.

وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله. والدليل قوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾ وهذا هو معنى: «لا إله إلا الله» وفي الحديث: «رأس هذا الأمر: الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

٩ـ هذه أربع القواعد

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة. وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هذه الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار. عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها في كتابه.

القاعدة الأولى

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام والدليل قوله تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾**.

القاعدة الثانية

أنهم يقـولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة الشفاعة، فدليل القربة قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. إن الله لا يهدي من هو كاذب كفـار﴾، ودليل الشفـاعـة قوله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ الآية. والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. والدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله وعمله بعد الأذن كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

القاعدة الثالثة

أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة. ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ الآية ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله﴾ الآية ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقـرب ويـرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ الآية. ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ الآية. وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشـركين سدرة يعكفـون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط،

فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط». الحديث.

القاعدة الرابعة

إن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى: **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**. والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١٠ شروط الصلاة

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الإسـلام، والعقل، . والتمييز ورفع الحدث، وإزالة النجاسة وستر العورة، ودخول الوقت، واستقبال القبلة، والنية.

الشـرط الأول: الإسلام وضده الكفر، والكافر عمله مردود ولو عمل أي عمل، والـدليل قولـه تعـالى: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر: أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون**﴾. وقوله تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً**﴾.

الثاني: العقل، وضده الجنون، والمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق، والدليل الحـديث: «رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ».

الثالث: التمييز وضده الصغر، وحده سبع سنين، ثم يؤمر بالصلاة، لقوله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

الشرط الرابع: رفع الحدث، وهو الوضوء المعروف، وموجبه الحدث، وشروطه عشـرة: الإسـلام، والعقل، والتمييز، والنية، واستصحاب حكمها بأن لا ينوي قطعها حتى تتم الطهارة، وانقطاع موجب، واستنجاء أو استجمار قبله، وطهورية ماء واباحته، وإزالة ما يمنع وصوله إلى البشرة، ودخول وقت على من حدثه دائم لفرضه.

وأما فروضه فسته: غسل الوجه، ومنه المضمضة والاستنشاق، وحده طولاً من منابت شعر الرأس إلى الذقن وعرضا إلى فروع الاذنين، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح جميع الرأس، ومنه الاذنان، وغسل الرجلين إلى الكعبين، والترتيب، والموالاة والدليل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾** الآية. ودليل الترتيب الحديث: «ابدأوا بما بدأ الله به» ودليل الموالاة حديث صاحب اللمعة عن النبي ﷺ: «أنه رأى رجلاً في قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره بالإعادة». وواجبه التسمية مع الذكر.

ونواقضه ثمانية: الخارج من السبيلين، والخارج الفاحش النجس من الجسد، وزوال العقل، ومس المرأة بشهوة، ومس الفرج باليد، قبلا كان أو دبراً، وأكل لحم الجزور، وتغسيل الميت، والردة عن الإسلام. أعاذنا الله من ذلك.

الشرط الخامس: إزالة النجاسة من ثلاث: من البدن والثوب والبقعة، والدليل قوله تعالى: **﴿وثيابك فطهر﴾**.

الشرط السادس: ستر العورة. أجمع أهل العلم على فساد صلاة من صلى عرياناً وهو يقدر، وحد عورة الرجل من السرة إلى الركبة، والأَمَة كذلك والحرة كلها عورة إلا وجهها. والدليل قوله تعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** أي عِند كل صلاة.

الشرط السابع: دخول الوقت، والدليل من السنة حديث جبريل عليه السلام أنه أم النبي ﷺ في أول الوقت وفي آخره، فقال: «يا محمد الصلاة بين هذين الوقتين» وقوله تعالى: **﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾** أي مفروضاً في الأوقات ودليل الأوقات قوله تعالى: **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**.

الشرط الثامن: استقبال القبلة، والدليل قوله تعالى: **﴿فد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم**

فولوا وجوهكم شطره﴾.

الشرط التاسع: النية ومحلها القلب، والتلفظ بها بدعة، والدليل الحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى».

وأركان الصلاة أربعة عشر: القيام مع القدرة وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع والرفع منه، والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال منه، والجلسة بين السجدتين، والطمأنينة في جميع الأركان والترتيب، والتشهد الأخير، والجلوس له والصلاة على النبي ﷺ، والتسليمتان.

الركن الأول: القيام مع القدرة، والدليل قوله تعالى **﴿وقوموا لله قانتين﴾**.

الثاني: تكبيرة الإحرام، والدليل الحديث: «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم». وبعدها الاستفتاح وهو سنة قول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك ولا إله غيرك» ومعنى: «سبحانك اللهم» أي أنزهك التنزيه اللائق بجلالك «وبحمدك» أي ثناء عليك. «وتبارك اسمك» أي البركة لا تنال إلا بذكرك. «وتعال جدك» أي جلت عظمتك. «ولا إله غيرك» أي لا معبود في الأرض ولا في السماء بحق سواك يا الله: «أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم» معنى «أعوذ» ألوذ وألتجىء وأعتصم بك. **﴿من الشيطان الرجيم﴾** المطرود المبعد عن رحمة الله لا يضرني في ديني ولا في دنياي.

وقراءته الفاتحة ركن في كل ركعة كما في الحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفـاتحـة الكتاب». وهي أم القرآن **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** بركة واستعانة. **﴿الحمد لله﴾** الحمد ثناء والألف والام لاستغراق جميع المحامد. وأما الجميل الذي لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحاً لا حمدا. **﴿رب العـالمين﴾** الـرب هو المعبـود المـالـك المتصـرف مربي جميع الخلق بالنعم. **﴿العـالمين﴾** كل من سوى الله عالم وهو رب الجميع. **﴿الرحمن﴾** رحمة عامة جميع المخلوقات. **﴿الرحيم﴾** رحمة خاصة بالمؤمنين والدليل قوله تعالى: **﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾**. **﴿مالك يوم الدين﴾** يوم الجزاء والحساب، يوم كل يجازى

بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والدليل قوله تعالى: **﴿وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين. يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾**. والحديث عنه ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

﴿إياك نعبد﴾ أي لا نعبد غيرك، عهد بين العبد وبين ربه أن لا يعبد إلا إياه. **﴿وإياك نستعين﴾** عهد بين العبد وبين ربه أن لا يستعين بأحد غير الله. **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** معنى اهدنا دلنا وأرشدنا وثبتنا. والصراط الإسلام. وقيل: الرسول، وقيل القرآن والكل حق، والمستقيم الذي لا اعوجاجُ فيه. **﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾** أي طريق المنعم عليهم والدليل قوله تعالى: **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾**. **﴿غير المغضوب عليهم﴾**. وهم اليهود ومعهم علم ولم يعملوا به، نسأل الله أن يجنبك طريقهم. **﴿ولا الضالين﴾** وهم النصارى يعبدون الله على جهل وضلال، . نسأل الله أن يجنبك طريقهم، ودليل الضالين قوله تعالى: **﴿هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾** والحديث عنه ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» أخرجاه.

الحديث الثاني: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قلنا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كانت على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

الركوع والرفع منه والسجود على الأعضاء السبعة والاعتدال منه والجلسة بين السجدتين، والدليل قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾**. والحديث عنه ﷺ «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم».

والطمأنينة في جميع الأفعال، والترتيب بين الأركان، والدليل حديث المسيء عن أبي هريرة قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل ـ فعلها ثلاثاً ثم قال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أحسن غير هذا فعلمني. فقال له النبي ﷺ إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

والتشهد الأخير ركن مفروض كما في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد: «السلام على الله من عباده، السلام على جبريل وميكائيل. وقال النبي ﷺ لا تقولوا السلام على الله من عباده فإن الله هو السلام، ولكن قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

ومعنى «التحيات» جميع التعظيمات لله ملكاً واستحقاقاً مثل: الانحناء والركوع والسجود، والبقاء والدوام وجميع ما يعظم به رب العالمين فهو لله، فمن صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، «والصلوات» معناها جميع الدعوات وقيل الصلوات الخمس. «والطيبات لله» الله طيب ولا يقبل من الأقوال والأعمال إلا طيبها». «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» ندعو للنبي ﷺ بالسلامة والرحمة والبركة ورفع الدرجة والذي يدعى له ما يدعى مع الله. «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». تسلم على نفسك وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، والسلام دعاء والصالحون يدعى لهم ولا يدعون مع الله. «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» تشهد شهادة اليقين أن لا يعبد في الأرض ولا في السماء بحق إلا الله. وشهادة أن محمداً رسول الله بأنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب. بل يطاع ويتبع. شرفه الله بالعبودية والرسالة والدليل قوله تعالى: ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾. «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما

صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» الصلاة من الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى كما حكى البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: «صلاة الله ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى» وقيل الرحمة، والصواب الأول، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء. و «بارك» وما بعدها سنن أقوال وأفعال.

والواجبات ثمانية: جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام، وقول: «سبحان ربي العظيم» في الركوع، وقول: «سمع الله لمن حمده» للإمام والمنفرد، وقول: «ربنا ولك الحمد» للكل، «سبحان ربي الأعلى» في السجود، وقول: «ربي اغفر لية بين السجدتين، والتشهد الأول والجلوس له. فالأركان ما سقط منها سهواً أو عمداً بطلت الصلاة بتركه والواجبات ما سقط منها عمداً بطلت الصلاة بتركه، وسهوا جبره بسجود السهو، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

١١ كمال الشريعة الإسلامية وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

الحمد لله وأشكره على نعمه وأسأله المزيد من فضله وكرمه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً وبعد، فهذه كلمة تبين كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر. لا يخفى أن الله بعث نبيه محمداً ﷺ إلى البشر رحمة منه وإحساناً ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم وكانت العرب قبل بعثته ﷺ في جاهلية جهلاء وشقاء لا بعده شقاء يعبدون الأصنام ويئدون البنات ويسفكون الدماء بأدنى سبب ولا سبب في ضيق من العيش وفي نكد وجهد من الحياة يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش يتحاكمون إلى الكهان والطواغيت فلما جاء الله بهذا النبي الكريم أخرجهم الله من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمة الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد ومن ظلمة الجهل والطيش إلى نير العلم والحلم ومن ظلمة الجور والبغي إلى نور العدل والإحسان، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلى نور الاتفاق والوئام ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلى نور التواضع والتشاور، ومن ظلمة الفقر والجهد إلى نور الغنى والرخاء بل أخرجهم من ظلمة الموت إلى نور الحياة السعيدة. **﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾** أكمل الله به الدين وتمم به مكارم الأخلاق.

أمر بعبادة الله وحده لا شريك له وأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمعوزين حتى قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله. لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا

حذرها منه أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة. كما قال حذيفة رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ أو قال: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحية في السماء إلا ذكر لنا منه علماً رسم لأمته طريق السعادة في الدنيا والآخرة في سياسته الشرعية التي يعجـز كل واحـد أن يأتي بناحية من نواحيها فرسم لهم طريق السياسة مع الأعداء وبين لهم ما تعامل به الأمم الأجنبية من الحرب ووجوبه والسلم ووجوبه والمعاهدات والصلح وحفظ العهود وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها قال الله تعالى:

﴿فاما تثقنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين. ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾.

ففي هذه الآيات دلالـة واضحـة على مقتضيات الحـرب والاستعداد لذلك وتأهب المسلمين بالقوة لعدوهم بما يرهبهم وبيان الصلح والسلم إلى ذلك مما دلت عليه هذه الآيات من آي القرآن.

كما قسمت الشريعة أيضاً السياسة إلى ثلاثة أقسام:

سياسة شرعية دينية.
سياسة جائزة مباحة.
سياسة شيطانية فرعونية ابليسية.

فالسياسة الشرعية الدينية هي ما دل عليه الكتاب والسنة من قتل القاتل وقطع يد السارق وإقامة الحدود كحد الزنا والقذف وحد المسكر ودية منافع الأعضاء وغير

ذلك مما لا يدخل تحت حصر. .

والسياسة الجائزة المباحة وهي ما يسوس بها ولاة الأمور رعاياهم مما لا تخالف كتاباً ولا سنة.

فإن رسول الله ﷺ إذا همَّ بغزوة ورى بغيرها وقال الحرب خدعة إلى غير ذلك.

والسياسية الشيطانية الفرعونية الإبليسية هي كل ما خالف كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ﷺ وإن زعم أهلها أنهم مصلحون بسياستهم فهم حقاً المفسدون قال تعالى: **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾**، فقال الله: **﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾**.

فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات. وكما قال فرعون: ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وأي رشد عند فرعون القائل أنا ربكم الأعلى. بل رد عليه القرآن في موضع آخر قال تعالى: **﴿وما أمر فرعون برشيد﴾**. وبينت الشريعة الإسلامية السياسة الخارجية كما قدمنا في الآيات بشأن السلم والحرب والصلح والمعاهدة إلى غير ذلك فمن ذلك أيضاً قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾**. الآية، فالآية تدل على أن المسلمين مأمورون بالحذر وبالتأهب والاستعداد لعدوهم بالآلات الحربية كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها.

مما يجد ويحدث مما يزيد المسلمين قوة وبذلك يأخذون حذرهم وفي قوله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** ما يبين ذلك.

كما بينت أيضاً السياسة الداخلية فبينت ما للإمام من الحقوق على رعيته قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾**. وقال النبي ﷺ: «اسمع واطع لمن ولاه الله أمرك» الحديث. وقال اسمعوا واطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي.

ومن بيانها لحقوق الرعية على ولي الأمر قوله تعالى: **﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾**. وقول الرسول ﷺ: «اللهم من ولي أمراً من أمور أمتي فرفق بهم فأرفق

به ومن ولي أمراً من أمور أمتي فشق عليهم فاشقق عليه». وأمرت الشريعة بمشاورة أولي الرأي بل جعلت الشريعة مكانة الشورى بين الصلاة والزكاة للاهتمام بها وعظم شأنها كما في قوله تعالى: **﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾**.

ونهى الرسول ﷺ عن الاخلاد إلى الكسل والعجز والدعة والراحة وأخبرهم أن هذا سبب للذل بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء اعزاء لا تلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا فأمرت الشريعة بالضرب في الأرض لطلب الكسب والتجارة، قال تعالى: **﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾**. وقال: **﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**.

وأمرت بحرث الأرض للمعاش وحثت على ممارسة الزراعة وشجعت أهلها بما لهم من البركة والأجر والفضل العظيم كما قال ﷺ: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طيراً أو دابة أو إنسان إلا كان له به صدقة». وقال ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له».

كما جاء الأمر بالصناعة في قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد. أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً﴾**. ففي هذا الأمر بالصناعة مع العمل الصالح وداود عليه السلام هو أحد أنبياء بني إسرائيل المأمور نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام بالاقتداء بهم في قوله تعالى: **﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾**، الآيات إلى أن قال: **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**.

وبالجملة فقد رسمت أحكاماً لكل من الزراعة والصناعة والتجارة وأوجبت حفظ الحقوق فأمرت بالكتابة والاشهاد وحرمت كتمان الشهادة أشد تحريم حماية للأموال وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض كما نهت عن الغش والخداع في المعاملات وحرمت الربا بأنواع وبيع البعض على بيع البعض وعن التدليس وبيع الضرر كل هذا حفظاً للحقوق وحرصاً على تمام الروابط بين المسلمين.

وعلمت الشريعة كيفية الاقتصاد وبينت كيف يصرف المال فنهت عن التبذير وعن التقتير وأمرت بالقوام بينهما قال الله تعالى : **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾** . وقال في وصفه لعباد الرحمن : **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾** وبينت الشريعة كيف تقام البيوتات وتؤسس العائلات فشرعت النكاح وحثت عليه ورغبت فيه وبينت ما للرجل على زوجته من الحقوق وما لها عليه وبينت ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل.

قال تعالى : **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا إن الله كان علياً كبيرا﴾** .

﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ كما شرعت الخلع والطلاق عند تعذر الوئام بينهما وعدم التئام حالهما. ونظمت شؤون الأسرة الواحدة عموماً. وبينت حقوق الوالد ما عليه وحقوق الأولاد وما عليهم وجميع الأقارب وذوي الأرحام كل بحسبه.

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه إلى إبان وفاته بل إلى ما بعد ذلك فبينت الأولى بتغسيله وتكفينه وحمله والصلاة عليه ودفنه وميراثه ووصيته وحقوقه وقضاء ما عليه من الديون وحكم أوقافه ما يصح منها ومالا يصح . فلله ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسماها.

وكلما ازداد المرء معرفة بها ازداد لها احتراماً وتعظيماً وتوقيراً فلذلك كان الصحابة رضي الله عنهم لكمال معرفتهم بها أشد الناس تمسكاً بها وتمشياً مع تعاليمها بكل جليل ودقيق وأنه لمن العجب إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين وضيعة ظاهرة التناقض واضحة الجور فاسدة المعنى فلذا كثير ما يطرأ عليها التغيير والتبديل كل يرى أنه أحسن ممن تقدمه وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه يجري عليها تغييراً وتبديلاً بحسب رأيه وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة

الأفكار وزبالة الأذهان.

أما الشريعة الإسلامية فهي صالحة لكل زمان ومكان مضى عليها أربعة عشر قرناً وهي هي في كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات وأهدأ الناس حالاً أنعمهم بالاً وأقرهم عيشاً أشدهم تمسكاً بها سواء في ذلك الافراد أو الشعوب أو الحكومات وهذا شيء يعرفه كل واحد إذا كان عاقلاً منصفاً وإن لم يكن من أهلها بل وإن كان من المناوئين لها.

وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا للسياسة، أن نشأة أوروبا الحديثة إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام فاض عليها من الأندلس ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب.

وقال القس طيلر إن الإسلام يمتد في إفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من أثاره والشجاعة والإقدام من نتائجه وقال كونتنس: يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجايا وشرف الأخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف غيرهم فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك.

وقال أيضاً: إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة في النفس فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله.

وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال هانولو وزير خارجية فرنسا في وقته: إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الإسلامي العظيم الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق أي دين سواه فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده فانتشر في الآفاق.

وقال بعضهم: لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكاه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال فشا فيهم فسا الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض فتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ولكن في ما أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر في الحاق الضرر به.

وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة جداً يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً لصاروا أرقى الأمم وأسعد الناس ولكن ضيعوا فضاعوا واكتفوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون.

مناقب شهد العدو بفضلها. والفضل ما شهدت به الأعداء ولسنا والحمد لله في حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به وعرف منها أعداؤه ما لم يعرفه بنوه إذا جهلوا مصالحه وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال وأنه فوق كل نظام ولا شك أنه الدين الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد، دين الفطرة السليمة دين الرقي الحقيقي دين العدالة بأسمى معانيها، دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح، دين العمل، دين الاجتماع، دين التوادد والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والغنائم والحرف لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على مر السنين وتعاقب الدهور إلى أن تقوم الساعة.

ولكن يا للأسف ويا للمصيبة إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون عليه ليهدموه وليفرقوا أهله ويفضلون أهل الغرب على المسلمين ظناً منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي أخرهم وهيهات أن يكون الدين هو الذي أخرهم ولكنهم أخروا أنفسهم

بالإعراض عن تعاليم دينهم وأخلدوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل فأصبحوا في حيرة من أمرهم .

إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعي ولكنهم تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة وان الواجب على أهل الإسلام خصوصاً العلماء منهم وولاة الأمور أن ينشروا الدعوة له وينشروا محاسنة لنشئهم ليرغبهم فيه ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه كما فعل أوائلهم الأماجد فإنهم قاموا بالدعوة فبينوا للأمم محاسنة وسماحته شارحين لهم حكمه موضحين مزاياه وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم واخضعوا من سواهم لتعاليمه ولكن ما لبث ابناؤهم أن حرفوا فانحرفوا وتمزقوا بعدما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل فتفرقت بهم السبل وأصبحوا شيعاً متفرقين في آرائهم متباينين في مقاصدهم وكيف يحصل لهم الرقي وأنى يتسنى لهم التقدم وقد رضوا بقوانين وضعية استمدوها من اعدائهم يجرون وراءهم وينهجون نهجهم تقليداً لهم ومصادمة للشريعة الإسلامية التي هي عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ .

ويقول جل شأنه: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيراً وأحسن تأويلاً**﴾ .

وقد تكلفت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وايضاحها قال تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾. وقال تعالى: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾ ففي هذه الآية ان القرآن فيه البيان لكل شيء وان فيه الاهتداء التام وأن فيه الرحمة الشاملة وأن فيه البشارة الصادقة للمتمسكين به الخاضعين لأحكامه، قال تعالى: ﴿**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا**

فيه﴾. قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾، وقال ﷺ: «تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى من غيره أضله الله. الخ».

فكيف يجتري من يدعي الإيمان مع هذا البيان الواضح والآيات البينات والأحاديث الصحيحة على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن شريعة الله، والله قد نفى الإيمان عمن لم يحكم الرسول فيما وقع بينهم من التشاجر قال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾ وانه لمن أعظم الضلال أن يعتقد من يدعي الإسلام أن الشريعة لم تأت بما يكفل مصلحة الجميع وأن الناس محتاجون إلى غيرها في شيء في شؤونهم ومشاكل حياتهم أليس ذلك طعناً وتكذيباً لقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾، يا له من دين ما أجله وما أكمله فإن من تأمل حكم هذا الدين القويم والملة الحنيفية والشريعة المحمدية التي لا تنال العبارة كمالها ولا يدرك الوصف حسنها ولا تقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم مثلها وحسب العقول الكاملة الفاضلة إن أدركت حسنها وشهدت بفضلها وأنه ما طرق العالم شريعة أكمل ولا أجل ولا أعظم منها، فهي نفسها الشاهد والمشهود له والحجة والمجتمع له والدعوى والبرهان وهي من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عباده فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم لها وجعلهم من أهلها وممن ارتضاهم لها. فلهذا امتن على عباده بأن هداهم لها. قال تعالى: ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**﴾.

وقال معرفاً لعباده ومذكراً لهم عظيم نعمته عليهم مستدعياً منهم شكره على أن جعلهم من أهلها. ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم**

الإسلام ديناً﴾ . قال بعض السلف : يا له من دين لو أن له رجالاً ـ والله أعلم وصلى الله على محمد .

الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام
عبد الله بن محمد بن حميد

الفهـرس

